رواية

LEONID ANDREYEV | JUDAS ISCARIOT |

ليونيد أندرييف

يهوذا

ترجمة: رولا عادل

المحروسة

Scanned with CamScanner

رواية

يهوذا

ليونيد أندرييف

ترجمة

رولا عادل رشوان

Scanned with CamScanner

عنوان الكتاب: يهوذا ИУДА ИСКАРИОТ
المؤلف: ليونيد أندرييف Леонид Андреев
ترجمة: رولا عادل رشوان
مراجعة لغوية: محمود شرف

مركز المحروسة
للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٧٩٤٥ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: 978-977-313-920-9

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2022

Scanned with CamScanner

رواية

يهوذا

ليونيد أندرييف

ترجمة

رولا عادل رشوان

الطبعة الأولى 2022

Scanned with CamScanner

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

أندرييف، ليونيد 1871 - 1919

يهوذا: رواية/ ليونيد أندرييف؛ ترجمة/ رولا عادل رشوان.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

111 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 978-977-313-920-9

1 - القصص الروسية

2 - القصص التاريخية

أ- رشوان، رولا عادل (مترجم)

ب- العنوان

891.73

رقم الإيداع 2022/17945

Scanned with CamScanner

الفصل الأول

حُذِّر المسيح عدَّة مرات من أن "يهوذا الإسخريوطي" كان رجلًا سيئ السُّمعة، أخبروه كم يجب على المرء أن يخشاه. عرفه عن قرب بعض تلاميذه الذين اعتنقوا اليهودية فيما قبل، وسمع آخرون حكايات متواترة رويت عنه، لم يكن هناك من يمكنه أن يخبر عنه أي كلمة أو ذكرى طيبة. وإن استنكر شخصه رجال طيبون قائلين إن يهوذا جشع وماكر ويميل إلى التظاهر وحب الباطل من الأمور، لم يختلف رأي الأشرار عنه، أولئك الذين حين سؤالهم عن "يهوذا"، لم يتوان أيُّهم عن تشويهه بأشد الكلمات قسوة ووحشية.

قالوا، باصقين بين جملة وأخرى: "يجعلنا "يهوذا" نتشاجر باستمرار، يغرق في أفكاره المجهولة فجأة، وبعدها ينسحب زاحفًا عائدًا إلى منزله بهدوء، كالعقرب، ثم يخرج منه متسللًا وسط الصخب. حتى اللصوص يملكون أصدقاء أو رفاق عمر يعاملونهم بنزاهة، وحتى

Scanned with CamScanner

الكذابون لديهم زوجات يمكنهم أن يأمنوا إليهم بالحقيقة الصافية. لكن "يهوذا" يخدع اللصوص تمامًا كما يمارس حيله على الرجال الصادقين، رغم كونه هو ذاته سارقًا ماهرًا، تنطبع على ملامحه سمات الاحتيال أكثر من رجال اليهود جميعًا. لا، إنه ليس واحدًا منا، ذلك الأصهب "يهوذا" من "اسخريوط"".

هكذا كان الأشرار يقولون عن "يهوذا" الذي لم يكن يختلف عن أي من الرجال الأشرار الآخرين في تاريخ اليهودية.

من جديد أسهبوا في الحكي، قالوا إن "يهوذا" قد تخلى عن زوجته منذ فترة طويلة، وأنها تحيا الآن في جوع وفقر، تحاول دون جدوى أن تحصل على ما يسد رمقها من الخبز باستخدام الصخور الثلاث التي تركها "يهوذا" في المنزل، بينما سار هو نفسه جوالًا بلا هدف بين الناس لسنوات عديدة حتى تمكن من الوصول إلى البحر، ثم البحر الذي يليه، سار في كل مكان يلقي أكاذيبه، متجهمًا، باحثًا عن شيء ما بعينه اللصوصية، يغادر بعدها فجأة، تاركًا وراءه الشجار والمشاكل التي أثارها- فضوليًا، وماكرًا، وخبيثًا، مثل شيطان أعور. لم يكن له أطفال: دليل آخر على أن يهوذا كان رجلًا سيئًا، وأن الله لا يبغي نسلًا له.

لم يلاحظ أيٌّ من التلاميذ متى ظهر هذا اليهودي ذو الشعر الأحمر الشنيع لأول مرة بالقرب من المسيخ، لكنه سار وراء تلاميذه بالفعل لفترة طويلة، وتطفَّل على محادثاتهم، وقدم خدمات ثانوية، وانحنى، وابتسم، وأغدق عليهم من المديح. يقترب في البداية بوجه مألوف الملامح، لا يختلف عنهم، ثم خادعًا الحَدَقات المرهقة، متطفِّلًا على عيونهم وآذانهم، فيثير غضبهم، يصير كيانًا لا يمكن تحمُّله- بَشِع، وكاذب، ومثير للاشمئزاز. حين تحوُّله، يدفعونه بعيدًا بكلمات صارمة، يختفي بعدها لفترة قصيرة في مكان ما على الطريق، بعدها يعود

Scanned with CamScanner

دون أن يشعر به أحد، متملِّق، لئيم، عين وحيدة وعقل إبليسي. وبالنسبة لبعض التلاميذ لم يكن هناك شكٌّ في أن رغبته في الاقتراب من المسيح كانت تخفي وراءها هدفًا مُضمَرًا، مُخطَّطًا شريرًا يخفي خيانة.

أما المسيح فلم يسمع لنصيحتهم. صوتهم النبوي لم يمسَّ أذنيه. خاصة بروحه التي حملت تسامُحًا دافِعُه البراءة، والتي جعلته ينجذب بشكل لا يقاوَم إلى المنبوذين وغير المحبوبين، قَبِلَ المسيح "يهوذا" بشكل حاسمٍ وضمَّه إلى دائرة المختارين. كان التلاميذ قَلِقين ومتذمِّرين، وإنما التزموا ضبطًا للنفس. على الرغم، جلس "يهوذا" بهدوء، مواجهًا غروب الشمس، مستمعًا باهتمام، مُنصِتًا لما يجري في دواخلهم، أو متجاهلًا، لم يعلم أحد.

لعشرة أيام تَلَت، لم تعصف بالمكان رياح، وظلَّ الهواء حولهم على حاله، بلا نسمات، شفَّافًا، مترقِّبًا، مُنذِرًا بحساسية الوضع. بدا الكون كأنما قد قرَّر الاحتفاظ في أعماقه بكل ما قد صرخ أو شَدَا في تلك الأيام، لم يطلق أيًّا ممَّا احتبس في صدره، صادرًا عن البشر، الحيوانات أو الطيور- دموع وعويل وأغاني مرح وصلوات ولعنات: كل تلك الأصوات الزجاجية المجمَّدة جعلت الجلسة ثقيلة على النفس للغاية، تلوِّح بالخطر، ومشبَّعة بكثافة بالحياة غير المرئية. مرة أخرى بدأت الشمس تدنو نحو مغربها. تدحرجت بشدَّة كأنها كُرةٌ مُستَعِرة، واشتعلت النيران في السماء، واشتعل في إثرها كل شيء على الأرض، وأسقطت من نورها المتوقِّد على كلِّ ما واجهها: وجه المسيح الداكن، وجدران البيوت، وأوراق الشجر- كل هذا يعكس بخوفٍ أريب -وإنما بلا جهد- ذلك الضوء البعيد. لم يَعُد الجدار الأبيض أبيضَ، ولا حتى تلك المدينة على التَّلِّ الأحمر بَقيَت على حالها.

هنا أتى "يهوذا"...

Scanned with CamScanner

جاء منحنيًا، مُحنيًا ظَهرَه، ومدَّ رأسه البشع الوعر بحذر وخجل. كما وصفه أولئك الذين عرفوه. كان نحيفًا، ذا طول معقول، تقريبًا بنفس ارتفاع المسيح، الذي جعلته عادتُه في الانحناء قليلًا أثناء ممارسته لعادة التأمُّل أثناء المشي يبدو أقصرَ؛ بدا "يهوذا" كمن يتمتَّع بالقوة الكافية، على الرغم من أنه لسبب ما تظاهر بأنه مريض وضعيف ولديه صوت بنبرات متغيِّرة: أحيانًا رجوليٌّ وقويٌّ، وأحيانًا حادٌّ ومزعج، كصوت امرأة عجوز توبِّخ زوجها، صوت سَمِج ثقيل على النفس لا يسرُّ الآذان، أراد سامعوه في أحيان كثيرة أن يقتلعوا من آذانهم كلمات "يهوذا" كما لو كانت شظايا خشِنَة نَتِنَة. لم يُخفِّف شَعره الأحمر القصير من أثر الشكل الغريب غير الاعتيادي لجمجمته: كان الأمر كما لو كان رأسه مقطوعًا من مؤخَّرته بضربتين من السيف إلى جزءين، وبضربة أخرى إلى جزءين آخرين، ثم لُمْلِمَ على عَجَلٍ فصارَ رأسًا، الأمر الذي أشاع في النفوس عدمًا من ثقة نحوه، أو على الأقل الحذر: لا يمكن لتلك الجمجمة أن تحمل هدوءًا أو توافُقًا في الأفكار، بل إن أنصتَّ يمكنك أن تسمع ضجيج المعارك الدموية القاسية. كان وجه يهوذا منقسمًا أيضًا: ضمَّ أحد جانبيه: عين عمياء، تراقب عن كثب، كانت شديدة الحيويَّة، متحرِّكة لا تهدأ، يحيطها عددٌ لا يُحصَى من التجاعيد الملتوية. أما جانب وجهه الآخر فكان خاليًا من التجاعيد وكان ناعمًا ومسطَّحًا ومُجمَّدًا، وعلى الرغم من مطابقته في الحجم للجزء الآخر من وجهه، إلا أنه بدا مختلفًا متضخِّمًا بسبب اتِّساع عينه العمياء. كانت عينه العمياء مغطَّاةً بضباب أبيض، لا تنغلق آناء الليل ولا أطراف النهار، استقبلت النور والظلام بنفس الطريقة؛ ظنَّ الناس أن شبحًا لئيمًا يقبع بداخلها، في النهاية لا يمكن للمرء أن يثق تمامًا في كون "يهوذا" ضعيفَ البصر. في نوبات خجله أو قلقه الواضح، يغلق يهوذا عينه الحيَّة ويهزُّ رأسه، يتأرجح الشبح مع حركات رأسه، محدِّقًا من خلف الضباب بصمت.

Scanned with CamScanner

حتى فاقدو الأبصار أو البصيرة يمكنهم أن يروا بوضوح أن هذا الرجل لا يأتي في أعقابه الخير أبدًا. لكن المسيح قرَّبه منه، وحتى... حتى إنه قد جلس إلى جانبه...

تنحَّى "يوحنا"، الحَواريُّ الحبيب بحَذرٍ شديد، أمَّا البقية، مَحبَّةً لمُعلِّمهم؛ اكتفوا بإغماض عيونهم باستنكارٍ. لكن "يهوذا" جلس على كل حال، وأدار رأسه يمينًا ويسارًا، وبدأ يشكو من أمراضه بصوت عالٍ. اشتكى من أن صدره يتألَّم أثناء الليل، وأن الجبال العالية على البُعد قد منعته التنفُّس، ومن أنه كلَّما وقف على حافَّة هاوية يبدأ رأسه بالدوران، وحينها بالكاد يستطيع كبح جماح نفسه من الرغبة الغبية في أن يقذف بجسده إلى الأسفل.

أفاض بلا خجل عن أوهام أخرى كثيرة راوَدَته، كما لو أنه لم يفهم أن الهموم لا تصيب المرء بالصدفة، بل تنشأ من الخلاف بين أفعال المرء والقوانين الأبدية للحياة وتصاريف القدر. فرك "يهوذا الإسخريوطي" صدره بكفِّه الكبيرة، حتى إنه قد حفَّز سُعالًا في صدره أمام صمت الجميع ناظرين إلى عينيه المنكسرتين.

دون أن ينظر "يوحنا" إلى المعلِّم، سأل صديقه "سمعان بطرس" بصوتٍ خافتٍ:

"ألم تتعب من الاستماع لكل هذه الأكاذيب؟ لا أستطيع أن أتحمَّل أكثر من ذلك، سأبتعد عن هنا ".

نظر "بطرس" إلى المسيح فالتقت عيونهم، وقام بسرعة.

"انتظر!" قال "بطرس" لصديقه.

نظر مرة أخرى إلى المسيح، وبسرعة، مثل صخرة تمزَّقَت عن جرف، تحرَّك نحو "يهوذا الإسخريوطي"، وقال له بصوتٍ عالٍ بصراحة ووضوح:

"وهكذا، "يهوذا"، أنت واحد منَّا الآن".

Scanned with CamScanner

ربَّت "بطرس" على ظهر "يهوذا" بلطف، ولم ينظر إلى المعلم، بل استشعر بصره عليه، وأضاف بشكل حاسم، بصوتٍ عالٍ، صوت يطرد كل الاعتراضات، كما الماء يزيح الهواء:

"لا يهمُّ أن لديك مثل هذا الوجه البغيض؛ فالوحوش التي تصطادها شِباكُنا دائمًا مختلفة، تبدو مخيفة، ولكن عندما تأكلها فليس ألَذَّ منها أبدًا. وليس لنا -نحن صيَّادي الرَّبِّ- أن نتخلَّص من صيدنا فقط لأن السمكة شائكة أو عوراء ذات عين واحدة. ذات مرة عايَنتُ أخطبوطًا صاده بعض صيَّادونا المحلِّيُّون، وكنت خائفًا جدًّا، لدرجة أنني كنت على استعداد للركض. لكنهم سخروا مني، أنا في الأصل صيَّادٌ من طبريا[1]. بعد أن تناولوا طعامهم، تركوا لي بعضًا من وجبتهم، بعد ثوانٍ سألتهم عن مصدر الوجبة؛ لأنه كان لذيذًا جدًّا. مُعلِّمي، هل تتذكَّر؟، لقد أخبرتك عن هذا الحادث، وضحكتَ أنتَ أيضًا. أمَّا أنت يا يهوذا- فنصفك فقط يشبه ذاك الأخطبوط".

ضحك "بطرس" بصوت عالٍ مسرورًا بمَزحته. عندما يتكلم "بطرس" تبدو كلماته قوية كما لو كان يحفُّها في الرؤوس بالمسامير، وعندما يتحرَّك أو يهمُّ للقيام بأي شيء، سيمكنك حتمًا سماع صدى كلماته أو أفعاله من بعيد، حتى الجماد الأصم كان يتأثَّر له: تهتزُّ الأرضية الحجرية تحت قدميه، وترتجف الأبواب وتتخبَّط ضلفاتها، ويرتجف الهواء بعصبية متخبِّطًا. يومًا ما بينما هم جلوس حول الوديان الجبلية، اجترَّ صوته صدى غاضب من خلفها، وفي الصباح على البحيرة حيث اعتادوا صيد السمك، تدحرجت نبرات صوته الجهير فوق المياة الرقراقة الراكدة، فأجبرت أشعة الشمس الخجولة الأولى على الابتسام. من المحتمل أن هذا هو ما جعلهم يحبُّون "بطرس": ربما جلس التلاميذ بظلِّ الضوء البعيد ما يزال على وجوههم، أمَّا

---

(1) مدينة تقع في الجليل الشرقي- فلسطين.

"بطـرس" فقـط أضـاء وجهـه بالفعـل في وهـج الفجـر، واقفًـا بشـموخ برأسـه الكبـير، وصـدره العـاري وذراعيـه الملقاتـين عـلى جانبَيْـه بحرِّيَّـة.

بـدَّدَت كلـمات "بطـرس" -التـي أيَّدهـا المعلـم بشـكل واضـح- المـزاجَ السـيئ للحضـور. لكـن البعـض -الذين زاروا البحـر بالفعـل ورأوا الأخطبوط قبـلًا- انزعجـوا مـن الصـورة الوحشـية، التـي منحهـا "بطـرس" بغـير اهتـمام للحَـواريِّ الجديـد. تذكَّـروا عيونـه الهائلـة، وعـشرات المخالـب الجشـعة، والهـدوء المزعـوم- ثـم "طـراخ"!... تجدهـا تمسـك بـك، وتغمـرك في الميـاه، وتسـحقك، وتمتصُّـك حتـى تمـام الجفـاف، دون أن يغمـض الوحـش عينيـه الهائلتـين للحظـة. مـا هـذا المثـل الغريـب؟ لكـن المسـيح صامـت، المسـيح يبتسـم، وبضحكـة مكتومـة عابسـة -ولكـن ودِّيـة نظـر إلى "بطـرس"، الـذي واصَـلَ الحديـث بحماسـة عـن الأخطبـوط- سـار التلاميـذ المضطربـون واحـدًا تلـو الآخـر نحـو "يهـوذا"، وتبادلـوا معـه حديثًـا قصـيرًا لطيفًـا، غـير أنهـم بعدهـا تراجعـوا منصرفـين عـلى عجـل.

وحـده "يوحنـا" بقـي صامتًـا، وبـدا أن "تومـا" لم يجـرؤ عـلى قـول أي شيء، بـل انشـغل بالتفكـير في مـا حـدث للتـو. حـدَّق "تومـا" باهتـمام في المسـيح و"يهـوذا"، جالِسَـيْن جنبًـا إلى جنـب، وهـذا القـرب الغريـب بـين الجَـمال الإلهـي والبشـاعة الوحشـية، رجـل ذو عيـون لطيفـة وأخطبـوط بعيـون هائلـة، صامتـة، قاتمـة، جشِـعَة، اضطهـدت المقارنـة عقلَـه كلُغـزٍ بلا تفسـير. تجعَّـدَت جبهتـه المسـتقيمة الناعمـة بقلـق، أغمـض بعدهـا عينيـه معتقـدًا أن هـذا سـيجعله يـرى بشـكل أفضـل، لكـن النتيجـة الوحيـدة لمـا فعـل هـو رؤيتـه لـ "يهـوذا" ببصيرتـه، وقـد اكتسـب ثمـاني أرجُـلٍ تتحـرَّك مـن حولـه بـلا كَلَـلٍ. كان "تومـا" يـدرك أن كل مـا يـراه بعـين رأسـه مجـرد خيـال، لكنـه ظـلَّ محدِّقًـا في الرجـل باهتـمام.

نَمَـت ثقـة "يهـوذا" ببـطء: فـرد ذراعيـه، اللتـين انحنيتـا عنـد المرفقـين، وأرخـى عضلاتـه، التـي كان قبضهـا قـد جعـل فكَّـه متوتِّـرًا بعـض الـشيء،

Scanned with CamScanner

وبدأ في تحريك رأسه المتعرّج بحذر نحو الضوء. كان بالفعل يجلس في مواجهة الجميع وتحت ناظريهم، لكن "يهوذا" شعر أنه كان مخفيًا عن العيون يقف بينهم حائطٌ سميكٌ لا يمكن اختراقه. بعد حركته المفاجئة نحو الأضواء، بدا كما لو أنه قد تسلّق خارجًا من حفرة، وشعر بجمجمته الغريبة في مركز الضوء، ثم عينيه، توقّف لبرهة- ثم كشف وجهه بالكامل بلا تردُّد.

لم يتغيّر أي شيء، لا رد فعل.

كان "بطرس" قد غادر بالفعل إلى مكان ما، بينما جلس المسيح متيقّظًا، وقد أراح رأسه على يده، مؤرجحًا برفق ساقه التي كانت قد لوّحَتها الشّمس، تحدّث التلاميذ فيما بينهم، وحده "توما" استمرّ في دراسة وجه الغريب، باهتمام وجدية، مثل خيّاطٍ بضمير حيٍّ لا يكفُّ عن القياس والتطريز. ابتسم "يهوذا"- لم يَرُدّ "توما" الابتسامة، ولكنه -على ما يبدو- أدرجها في حساباته، أجّلها ببساطةٍ كما كل شيءٍ آخر، واستمرّ في مراقبته. لكنّ ظِلًّا مزعجًا قد انعكس آثاره على الجانب الأيسر من وجه يهوذا؛ فاستدار: من زاوية مُظلِمة كان "يوحنا" يحدّق فيه بعينيه الباردتين الجميلتين، الوسيمتين، النقيّتين، بدون بقعة على وجهه الأبيض الثلجي. ورغمًا عن أن حركة مسيره كانت طبيعية تمامًا، شعر "يوحنا" وكأنه يجرُّ قدميه المتثاقلتين إلى الأرض، اقترب منه "يهوذا" وقال:

"لماذا أنتَ صامتٌ يا "يوحنّا"؟ كلماتك كبِركَةِ تُفّاح ذهبيٌّ تلمع من فوق أواني فضيّةٍ شفّافة، هلّا قدّمتَ إحداهن ليهوذا الفقير جدًّا؟".

ظلّ "يوحنا" ينظر باهتمام إلى العين المفتوحة وإنسانها العاجز عن الحركة، وظلّ صامتًا. لم يستطع سوى مراقبة "يهوذا" بينما يزحف بعيدًا، ثم يقف متردِّدًا، قبل أن يختفي في أعماق الباب البعيد.

Scanned with CamScanner

لاح القمر بدرًا؛ فقرَّر الكثيرون الخروجَ في نزهة على الأقدام. أمَّا المسيح فقد جلس لفترة فوق سطح منزله مراقِبًا مغادرة الجمع في المنزل، من تحته جلس "يهوذا" يرتِّب له سريره. في ضوء القمر، ظهَرَت أجساد الناس، بيضاء صامتة تسير على مهل، أو بالأحرى تنزلق في اتجاه ظِلِّها الأسود الشبيه، وفجأة يختفي الجسد ويتحوَّل إلى كيان أسود، وحينها فقط يمكنك أن تسمع صوته. عندما ظهر الناس مرة أخرى تحت القمر بَدَوْا صامتين، مثل جدران بيضاء، أو ظِلالٍ سوداء، كيان مُتَّحد كالسماء في الليل ضبابية وإنما شفافة. بدا أن الجميع قد خلدوا بالفعل للنوم عندما سمع "يهوذا" صوت المسيح الناعم يعود. صار كل ما حوله في المنزل هادئًا فجأة بلا صوت. ناح الديك بصوت عالٍ وبامتعاض كما يفعل في النهار، وفي مكانٍ ما صرخ حمار، ثم هدأ كلاهما تدريجيًّا على مَضَضٍ. لكن "يهوذا" بقي مستيقظًا واستمرَّ في الإصغاء، مُتربِّصًا. أضاء القمر نصف وجهه وانعكس بشكل غريب في قعر عينه الهائلة المفتوحة، كانعكاس القمر على سطح بحيرة متجمِّدة...

فجأة تَذكَّر شيئًا ما وبدأ يسعل على عجل، فَرَكَ صدره الكبير المُشعِر براحة يده: ربما كان هناك شخص ما زال مستيقظًا ويستمع إلى ما يفكِّر فيه "يهوذا".

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الثاني

اعتاد التلاميذ بعدها على وجود "يهوذا" وتوقّفوا عن ملاحظة بشاعته. عيّن له يسوع جزءًا من الهبات، ووقّع عليه جميع الأعمال المنزلية: شراء المأكل والملبس الضروريين، وتوزيع الصّدَقات، والبحث عن أماكن للمبيت خلال رحلات السفر. نفّذ "يهوذا" كل ما وُكِّل إليه من مهام بمهارة فائقة؛ الأمر الذي منحه احترام بعض التلاميذ ممّن شهدوا جهده. لم يتوقّف "يهوذا" مع هذا عن ممارسة الكذب، لكنهم اعتادوا على تلك الخصلة فيه نظرًا لأن أيًّا منهم لم يَرَ ما وراء الكذب أفعالًا سيئة للغاية أو تضرُّهم بأيِّ شكل. رأوا في الكذبات إضافة مهمّة إلى قصصه، جعلت الحياة الموصوفة بين طيّاتها تبدو تارة مسلّيةً وأخرى مخيفة.

يعطي "يهوذا" انطباعًا في قصصه بأنه يعرف كل الناس، وأن كل شخص قد عرفه يومًا في حياته قد ارتكب عملًا سيئًا بالفعل، أو

على الأقل جريمة شنعاء. يؤمن "يهوذا" بأن الأشخاص المشاع عنهم بكونهم طيِّبين، هم هؤلاء الذين استطاعوا إخفاء أعمالهم وأفكارهم رغبة في اكتساب تلك السُّمعة. أمَّا إن عاشر أحدهم هذا الطيب، مُظهِرًا بعض المودَّة، قادرًا على استجوابه كما يجب، فيمكنه ببساطة أن يحصل منه على اعترافات مريعة عن كل أنواع الأكاذيب والقذارة والذُّنوب التي مارسها، ستسيل منه الكلمات كما يخرج القيح من جرح مفتوح. اعترف "يهوذا" بسهولةٍ أنه في بعض الأحيان يكذب على نفسه، لكنه أكَّد تحت القَسَم أن الآخرين كذبوا أكثر، وإن كان هناك شخص في هذا العالم الواسع يمكننا أن نعدَّه أكثر من تَجرُّع مَرار الخداع فهو "يهوذا" دون شك. قال "يهوذا" إنه قد خُدِع من قِبَل الناس مرَّاتٍ لا يمكنه حتى إحصاءها. على سبيل المثال، اعترف له أمين صندوق يعمل لدى شخصية ثريَّة ذات يوم أنه -ومنذ عشر سنوات- يحارب رغبةً مُستمرَّةً في سرقة الممتلكات الموكلة إليه، لكنه لم يستطع فِعلَ ذلك أبدًا؛ خوفًا من صاحبه ومن نفسه؛ هيبة لضميره الشخصي. صدَّقه "يهوذا" ولكنه حينئذ ارتكب السرقة فجأة وخدعه. حتى عندما عوقب، آمن "يهوذا" أيضًا بقيمة الجزاء، لكن صاحبه عاد فجأة إلى مكانته السابقة وتولَّى حماية الممتلكات مرَّةً أخرى، وهكذا خُدع "يهوذا" مرة أخرى، الجميع ببساطة يخدعونه. حتى الحيوانات: عندما يداعب كلبًا يعضُّ أصابعه، وعندما يضربه بعصا يلعق ساقيه وينظر إلى عينيه بحنانٍ كابنه من دمه ولحمه. على العموم قتل "يهوذا" هذا الكلب، دفنه عميقًا ووضع فوقه صخرة كبيرة. لكن مَن يعلم، ربما صار بميتته تلك حيًّا أكثر ممَّا كان، وربما ما يزال الكلب يخدعه، وبدلًا عن رقوده في الحفرة الآن، ربما هو الآن يركض بمرح مع رفقائه.

ضحك الجميع على قصة "يهوذا"، وابتسم هو نفسه بسرور، وهو يحدِّق بعينه المتحرِّكة الساخرة، ثم فجأة، وبغير أن ينزع عن وجهه

Scanned with CamScanner

نفس الابتسامة، اعترف بأنه كذب قليلًا: لم يقتل ذلك الكلب. لكنه سيجده يومًا بكل تأكيد وسيقتله حينها بالفعل لأنه لا يريد أن ينخدع مرّةً أخرى. جعلت كلمات "يهوذا" هذه الجميع يضحكون أكثر.

لكن في حكاياته كان يتخطّى أحيانًا حدود ما هو قابل للتصديق ومُحتَمَل وينسب إلى الناس مثل هذه الميول التي لا توجد حتى في الحيوانات، مُتّهمًا إيّاهم بمثل هذه الجرائم التي لم تحدث أبدًا ولا يمكن أن تحدث أبدًا. ولأنه يجعل أكثر الناس احترامًا أبطالًا في قصته، ذاكِرًا إيّاهم بالأسماء؛ احتجَّ الكثيرون على ما عَزَوْهُ ذمًّا في الأعراض، بينما سأل آخرون مازحين:

"حسنًا، ماذا عن أبيك وأمّك يا "يهوذا"، أليسوا أشخاصًا صالحين؟".

حدّق "يهوذا" بعينه في السائلين وابتسم وبسط يديه. وبانسجام مع رأسه الذي اهتزّ كما في طرب، كان يتمايل بعينه الجامدة، المراقبة بصمت.

"ومَن يكون أبي؟ ربما كان والدي هو ذلك الرجل الذي ضربني بالعصا الحديدية في صِغَري؟ أو ربما كان شيطانًا أو ماعِزًا، أو ديكًا نافِرًا، على كل حال، هل يمكن لي معرفة كلّ مَن شارك والدتي الفراش؟ لـ "يهوذا" آباءٌ كثيرون، عن أيّهم تتحدّث؟".

احتجَّ الجميع على هذا الأمر لأنهم -وبلا استثناء- بجّلوا الوالدين بعمق، فردَّ "متّى"، القارئ الحصيف الدارس جيّدًا للكتاب المقدّس، مُردِّدًا بصرامةٍ كلمات النبي "سليمان:

"مَن سَبَّ أباه أو أُمّه ينطفئ سراجه في حدقة الظّلام"[1]

(1)سفر أمثال (20: 20)

Scanned with CamScanner

أمّا "يوحنا" فسأل باعتداد:

"حسنًا، ماذا عنّا؟ ما هو السَّيْئ الذي يمكنك أن تخبره عنّا، يهوذا الإسخريوطي؟".

متظاهرًا بدهشته، بدأ يهوذا يلوّح بيديه، وانحنى مثل متسوّلٍ يسأل المارّةَ بعضًا من فضلهم عبثًا، ثم انتحب صارخًا:

"آه منهم! لقد أغووا "يهوذا" المسكين واستدرجوه، إنهم يسخرون من "يهوذا"، يريدون خداع "يهوذا" الفقير الذي منحهم ثقته".

وإذ تحوّل أحدُ جانِبَيْ وجهه إلى تكشيرة ساخرة، انقلب الجانب الآخر بجدّيّة وصرامة، وظلّت العين المفتوحة بلا إغماض تُحدّق في الجالسين بلا تمييز.

كان "بطرس سمعان" أكثرَ مَن استمتع بنكات "يهوذا" وحفّزَت ضحكاته العالية، ولكنه وذات مرّة، عبس فجأة، وصمت بحزن في عيونه، أمسك بعدها "يهوذا" من كُمّه وسحبه جانبًا.

"والمسيح؟ ما رأيك في المسيح؟" سأل بصوت عالٍ بينما ينحني متوسّلًا: "فقط لا تمزح فيما تخبرني، أرجوك".

نظر إليه يهوذا بقسوة:

"وما رأيك أنت؟".

همس بطرس بخوفٍ وفرح:

"أظن أنه ابن الله الحي".

"إذن ما الذي تطلب منّي قوله أو تكذيبه؟ أن أقول إن أباه عنزةٌ؟".

"لكن هل تحبُّه؟ لا يبدو أنك تحب أيَّ شخص "يهوذا"".

بحدّة، وفجأة، وبنفس القسوة الغريبة- صدمه الإسخريوطي:

Scanned with CamScanner

"نعم، لا أحب أحدًا".

لمدة يومين بعد هذه المحادثة، ظلَّ "بطرس" ينادي "يهوذا" بصوت عالٍ، مُلقِّبًا إيَّاه أبدًا بالأخطبوط. أمَّا "يهوذا" -وبنفس القسوة- حاول الابتعاد عنه في أي مكان استطاعه، في أظلم زاوية مُمكِنة، حيث يجلس قائمًا تلمع عينه البيضاء التي لا تنغلق أبدًا.

وحده "توما" استمع إلى "يهوذا" بجدِّيَّة تامَّة: لم تَغُرَّه النُّكات والتظاهُر والأكاذيب وألعاب الكلمات والأفكار المتوارية خلفها، وسعى لاستخلاص الأهداف الأساسية أو المعلومات من حديثه، وكثيرًا ما قاطع كل حكايات "يهوذا" عن الأشرار والأفعال بملاحظات موجَزةٍ أشبه بالاستجواب.

"عليك أن تثبت ما تقول، هل سمعت هذا بنفسك؟ وبصرف النظر عن وجودك شاهدًا للوقعة، مَن كان حاضرًا في صُحبَتِكم أيضًا؟ ما أسماؤهم؟".

حينها كان "يهوذا" ينزعج ويبدأ بالصراخ بصوتٍ حادٍّ، قائلًا إنه قد رأى الأمر وسمعه بنفسه، لكن "توماس" العنيد استمرَّ في استجوابه بهدوء ودون توقُّف، حتى ينتهي الأمر بـ "يهوذا" إلى الاعتراف بأنه يكذب، أو على الأقل يُصحِّح حكاياته ببعض التفاصيل الأخرى أو الكذبات المعقولة ليُحيِّر "توما" ويصرفه، عنه مُفكِّرًا لوقتٍ أطول في الكذبات الجديدة. لم ييأس "توما"، كان يفعل ذلك بالفعل، وحينما يجد في روايات "يهوذا" خطأً يتَّجِه إليه على الفور ويشجبه بلا هوادة. في الحقيقة، أثار "يهوذا" فيه فضولًا قويًّا، وقد خلق ذلك شيئًا يشبه الصداقة بينهما، يزدحم جانبٌ منها بالصراخ والضحك والحجج من جهة، والتساؤل الهادئ والمتواصل من جهة أخرى. شعر "يهوذا" أحيانًا بنفورٍ لا يُطاق من صديقه الغريب، ولا يكفُّ عن ثقبه بنظرته الحادَّة، كان "يهوذا" يردُّ بغضب، متوسِّلًا تقريبًا:

Scanned with CamScanner

"ماذا تريد؟ قلتُ لكَ كلَّ شيء. كل شيء".

"أريدك أن تُثبِتَ حكاياتك، كيف يمكن أن يكون الماعز هو والدك؟". استمرَّ "توما" في استجوابه بلا مبالاة مستمرَّة وانتظر إجابة.

حدث أنه بعد أحد هذه الأسئلة، سكت "يهوذا" فجأة، ونظر بدهشة في عينيه، فاحصًا "توما" من رأسه إلى أخمص قدميه: رأى جذعًا طويلًا مستقيمًا، ووجهًا رماديًا وصريحًا، وعينين فاتحتين، وتجاعيد كبيرة، بدأت من أنفه وانتهت حيث لحيته الخَشِنَة المشذَّبة. قال "يهوذا" بحزم:

"كم أنت غبيٌّ، "توما"! ماذا ترى في أحلامك: شجرة، جدار، حمار؟".

أفقد الإحراجُ "توما" قُدرَتَه على مواصلة الجدال؛ فتوقَّف عن الاعتراض. وفي الليل، بينما كان "يهوذا" يستعدُّ للنوم، صرخ "توما" فجأة من سريره- كان كلاهما ينام الآن على السطح:

"أنت مُخطِئٌ، "يهوذا". أرى أحلامًا مروِّعة جدًّا. ما رأيك: هل على الإنسان أن يجيب بنفسه عن محتوى أحلامه؟".

"وهل تتراءى الأحلام لشخصٍ آخر غيره ليخبر عنها؟".

تنهَّد "توما" بهدوء وتاه بين أفكاره. ابتسم "يهوذا" بازدراء، مُغلِقًا عينه المتلصِّصة بإحكام، وأسلم نفسه بهدوء لأحلامه العاصفة، وكوابيسه الرهيبة، ورؤاه المجنونة التي لم تكفَّ يومًا عن تمزيق جمجمته الوعرة.

أثناء سَفَر المسيح إلى بلاد اليهود، كان مُصاحِبوه يقتربون أحيانًا من بعض المستوطنات، بينما لا يتوانى الإسخريوطي عن التفوُّه بأشياء سيئة عن سُكَّانها مُتنبِّئًا بالمتاعب. ولكن ما حدث هو أن هؤلاء الناس الذين أفاض "يهوذا" في ذَمِّهم، قد التقوا بالمسيح وأصدقائه

Scanned with CamScanner

واستقبلوهم بفرح، وأحاطوهم بالاهتمام والمحبة، آمنوا بالمسيح، وامتلأ صندوق أموال "يهوذا"، لدرجة أنه أصبح من الصعب حمله. ضحك زملاؤه على تفسيره المخطئ لنوايا المؤمنين الجُدُد، بسط "يهوذا" يديه وقال:

"حسنًا! حسنًا! اعتَقَد "يهوذا" بالفعل أنهم أشرار، لكن اتَّضح أنهم صالحون: سارعوا في الدخول إلى الإيمان، وقدَّموا لنا المال. هذا يعني أنهم، مرة أخرى، قد خدعوا "يهوذا" الفقير، "يهوذا" الذي يمنح لثقته للناس!".

ذات مرَّة، بينما كانوا بالفعل على مسافة بعيدة من مستوطَنةٍ ما، والتي قابلتهم بترحيب واستضافة نادرة، انخرط "توما" في جدال محتَدِم مع "يهوذا"، ومن أجل حلِّها، قرَّروا العودة إلى بلادهم. في اليوم التالي التقى الاثنان بالمسيح وتلاميذه، وبدا "توما" مرتبكًا وحزينًا، بينما كان "يهوذا" فخورًا جدًّا لدرجة أنه ظهر وكأنه يتوقَّع منهم في أي لحظة أن يبدؤوا في تهنئته وشُكرِه. صعَدَا إلى المعلم، وصرَّح "توما" بشكل حاسم:

""يهوذا" على حقٍّ يا سيدي. كانوا أناسًا أشرارًا وأغبياء، وقد أفرطتَ في حديثك وأهدرته على قلوبٍ من حجر".

وروى ما حدث في المستوطنة. بعد أن غادر المسيح وتلاميذه، بدأت امرأة عجوز بالصراخ قائلة إن ماعزها الأبيض الصغير قد سُرِق، واتَّهَمتَ النبي بالسرقة. تجادل الناسُ معها في البداية، ولكن عندما استمرَّت في محاولة إثبات أنه لا يوجد شخص آخر غير المسيح يمكن أن يسرقها، وافقها أغلب السامعين، وأرادوا الانطلاق مُطاردين المتهم، وعلى الرغم من أنهم وجدوا الماعز الصغير بعد ذلك بقليل مربوطًا إلى جذع شجيرة، فقد قرَّروا أن المسيح كان دجَّالًا، وربما حتى لصًّا.

"هذا ما حدث يا سيدي!".

Scanned with CamScanner

صرخ "بطرس" وقد تضخّم أنفه من الغضب: "سيدي، إذا أردتَ سأعود إلى هؤلاء الحمقى و...".

لكن المسيح، الذي ظلّ صامتًا طوال هذا الوقت، نظر إليه بصرامة، فصمت "بطرس" وتراجَعَ مُختبئًا من ناظريه خلف الآخرين. ولم يتكلّم أحدٌ مرة أخرى عمّا حدث، وكأن شيئًا لم يحدث على الإطلاق، وكأن "يهوذا" ونبوءته لم تَصدُق في هؤلاء الناس بالفعل! "يهوذا" الذي ابتغى بعدها عبثًا أن يُظهِر نفسه من بين الجالسين، محاولًا أن يجعل وجهه المتوحّش المعوجّ ذا الأنف المعقوف قليلًا يبدو متواضعًا. لم يَعُد أحد ينظر إليه، وإن تصادف والتقت عيون بعينيه، يجدها تحمل عَداءً أو حتى ازدراءً ما.

منذ ذلك اليوم، خضع موقف المسيح تجاهه لتحوُّلٍ غريب. في السابق، لسبب ما؛ لم يتبادل "يهوذا" مع المسيح أيّ حديث مباشر بأيّ شكل، ولا حتى جاءت مبادرة الحديث المباشر من طرف المسيح يومًا. على الرغم من أنه قد اعتاد النظر إليه بعيون حنونة مبتسمًا لبعض نِكاته، وإذا لم يكن قد رآه منذ فترة نجده يتساءل: "وأين يهوذا؟".

لكنه الآن صار ينظر إليه كما لو أنه لا يراه، على الرغم من أنه في كثير من الأحيان ظلّ يبحث عنه بعينيه بينما يبدأ في مخاطبة تلاميذه أو الناس، إلّا أن عيونه صارت الآن تُجري البحث بحدّة بلا مثيل. الفارق أنه أصبح الآن يجلس مُديرًا ظهره إلى "يهوذا"، ويجعل الأمر يبدو طبيعيًا تمامًا بلا تَقصُّدٍ، كما لو أنه لم يلحظ وجوده. ومهما كان ما يقوله، حتى وإن تناقض حديثُ اليوم والغد، بدت أقواله دائمًا ضدّ "يهوذا" وأفعاله.

كان المسيح زهرةً لطيفة وجميلة، كالوردة اللبنانية العَطِرَة في علاقته مع الآخرين، أما تجاه "يهوذا" فلم يكن لديه لمواجهته سوى

Scanned with CamScanner

الأشواك الحادّة- نظر إليه ككائن بلا قلب، بلا عيون تُقدِّر، ولا أنف تشمُّ وتستنشق جمال الزهرة، بدع البتلات الرقيقة سليمة الكيان التي يميِّزها الآخرون جميعًا دونه!

""توما"! هل تعجبك تلك الوردة اللبنانية الصفراء، التي تبدو بَتْلاتُها كوجهٍ له عينان داكنتان، ونسيجها أشبه بالقطيفة".

"الوردة؟ نعم، أجد رائحتها لطيفة، لكني لم أسمع أبدًا عن زهرة تبدو بتلاتها كوجهٍ له عينان داكنتان، ونسيجها أشبه بالقطيفة".

"ماذا؟ إذن ربما لستَ على عِلمٍ بالصَّبَّار، ذلك الذي مزَّق ملابسك الجديدة بالأمس، النبات ذي الزَّهرة الحمراء الواحدة والعين الوحيدة؟".

لكن حتى هذا لم يكن يعلمه "توما"، على الرغم من أن صَبَّارًا بالفعل قد مزَّق ملابسه إلى خِرَقٍ مُريعة. لم يكن "توما" يعرف أي شيء بالفعل، في تناقُضٍ ظاهِرٍ مع عادته الأصيلة في الاستفسار الدائم عن كل شيء. رغمًا عن أنه اعتاد التركيز مُحدِّقًا بعينيه الصافيتين جدًّا، حتى يمكن للمرء أن يرى من خلالهما الجدار المنعكس فيهما، والحمار المربوط إليه، صافيتين كما الزجاج الفينيقي.

بعد مرور بعض الوقت، وقعت حادثة جديدة تبيَّن إزاءَها مرَّةً أخرى أن "يهوذا" كان على حق. في إحدى المستوطنات اليهودية، التي كرهها "يهوذا" لدرجة أنه نصحهم بتجاوُزها، استُقبِل المسيح بصورة عدائية للغاية، وبعد أن أمضى وقتًا في الوعظ وكشف النفاق، غضب السُّكَّانُ المحلِّيُّون، وأرادوا ضربه وقذفه بالصخور وتلاميذه معه. احتشد المكان بالأعداء، وكانت نواياهم الخبيثة تجاه المسيح أقربَ للاكتمال، لولا تدخُّل "يهوذا الإسخريوطي"، ألقى "يهوذا" بنفسه فوق الحشد من شِدَّة خوفه على المسيح، خاصة بعد أن رأى قطرات الدم قد طالت قميصه الأبيض. هدَّد، وصرخ، وتوسَّل، وكذب، وبفعله هذا خلق الوقت والفرصة للمسيح وتلاميذه للفرار. كان تصرُّفه ذكيًّا

Scanned with CamScanner

بـلا شَـكٍّ، وجسـده سريعًـا كـما لـو كان يركـض عـلى عـشرات الأرجُـل، رهيبًـا في غضبـه، مسـلّيًا في توسُّـلاته، اندفـع بجنـونٍ أمـام الغوغـاء، فَتَنهـم بقوَّتـه المذهلـة. صرخ قائـلًا إن النـاصرة ليسـت تحـت أي تهديـدٍ مـن شـيطانٍ مَريـد، وأن الرجـل الواعـظ فيهـم مـا هـو إلا دجَّـال، لـصٌّ يحـبُّ المـال، كـما بقيـة حاشـيته وتلاميـذه، كـما "يهـوذا" نفسـه، هكـذا قـال. هـزَّ صنـدوق النقـود إثباتًـا لحديثـه، متجهِّـمًا، توسَّـل، وألقـى بنفسـه عـلى الأرض. وتدريجيًّـا تحـوَّل غضـب الغوغـاء إلى ضحـك مخلـوط باشـمئزاز، وانخفضـت الأيـدي المرفوعـة التـي تحمـل الحجـارة.

قـال بعضهـم: "هـؤلاء النـاس لا يسـتحقُّون المـوت عـلى أيـدي رجـال شُرَفـاء"، بينـما وقـف الآخـرون يراقبـون "يهـوذا" الـذي انسـحب عـلى عجـل...

ومـرَّةً أخـرى، انتظـر "يهـوذا" التهـاني، والثنـاء، والامتنـان، ووقـف مختـالًا يعـرض ملابسـه الرَّثَّـة، وكـذب قائـلًا إنـه تعـرَّض للـضرب- لكـن أملـه في القـومِ خـابَ هـذه المـرة أيضًـا؛ لسـبب لم يكـن مفهومًـا لـه. سـار المسـيح الغاضـب بخطـوات طويلـة وظـلَّ صامتًـا، وحتـى "يوحنـا" و"بطـرس" لم يجـرُؤَا عـلى الاقـتراب منـه، وقـد تخطَّـى يهـوذا ذو الوجـه المبتهـج والمخيـف كلَّ مَـن التقـى بعينيـه، أزاحـوه عـن طريقهـم مُتَمتِمـين بعبـارات صاخبـة وغاضبـة. كان الأمـر كـما لـو أنـه لم ينقذهـم جميعًـا، كـما لـو أنـه لم ينقـذ مُعلِّمَهـم، ذاك الذيـن أحبُّـوه وبجَّلـوه.

هـل تريـد النظـر إلى بعـض الحمقـى؟" قـال "يهـوذا" لـ "تومـا"، الـذي سـار متأنِّيًـا في الخلـف. "انظـر: هـا هـم هنـاك يسـيرون عـلى طـول الطريـق، مجتمعـين مثـل قطيـع مـن الكبـاش، يثـيرون الغبـار مـن حولهـم. بينـما أنـت، "تومـا" الـذكي، تمـشي في الخلـف، وأنـا، "يهـوذا" النبيـل الجميل، أمـشي متتبِّعًـا ذيولهـم مثـل العبـد القَـذِر الـذي ليـس لـه مـكان بجانـب سـيده".

Scanned with CamScanner

"لماذا تطلق على نفسك صفة الجمال؟" سأل "توما" في نبرة مفاجئة.

"لأنني جميل"، أجاب يهوذا باقتناع، متفاخرًا بتضخيم الحدث، روى كيف خدع أعداء المسيح وضحك عليهم وعلى صخورهم الغبيَّة.

"لكنك كذبت عليهم!" قال "توما".

وافق الإسخريوطي بهدوء: "حسنًا، نعم، لقد فعلت. أعطيتهم ما طلبوه، ومنحوني ما أحتاجه. وما هي الكذبة في تعريفك يا "توما" الذكي؟ ألم يكن موت المسيح كذبة عظيمة؟".

"ما فعلتَه كان خطأ. الآن أنا أؤمن تمامًا أن والِدَكَ كان الشيطان بذاته. لا بُدَّ أنه هو مَن علَّمَكَ تلك الأفعال يا "يهوذا".

شحب وجه "يهوذا" فتحرَّك سريعًا نحو "توما"، كان كما سحابة غائمة، حجبت الطريق بين "توما" وبين المسيح وتلاميذه على البُعد. بحركة ناعمة، سريعة، أمسك "يهوذا" برقبته، وضغط بقوة، حتى شلَّ حركته، وتهامس في أذنه:

"حسنًا، تقول إن الشيطان هو مَن علَّمني تلك الألاعيب؟ حسنًا، حسنًا يا "توما". ألم أنقذ المسيح قبل قليل، ألا يعني هذا أن الشيطان يحبُّ المسيح، أنَّ الشيطان يحبُّ الحق؟ حسنًا، حسنًا يا "توما". لكن على أي حال، والدي ليس شيطانًا، بل عنزة. ربما تحبُّ العنزةُ المسيحَ أيضًا؟ أليس كذلك؟ وأنت ألا تحتاج إلى الحقيقة؟".

شعر "توما" بمزيج من غضب وخوف، وبصعوبةٍ تحرَّر من عناق "يهوذا" اللَّزِج، وتقدَّم بخُطًى سريعة إلى الأمام، ولكنه أبطأ على غفلة من وتيرة سَيْرِه، محاولًا فهم ما حدث للتَّوِّ.

كان "يهوذا" يمشي بهدوء في الخلف، متخلِّفًا تدريجيًّا أكثر فأكثر. والآن اندمج المسافرون على المسافة في كومة صغيرة متنافرة، حيث

Scanned with CamScanner

لا يمكن للمرء بالفعل أن يعرف أيًا من هذه الأشكال الصغيرة كان المسيح. والآن تحوّل "توما" نفسه إلى نقطة رمادية- وفجأة اختفوا جميعًا خلف الزاوية. بعد أن نظر "يهوذا" حوله مستطلعًا المكان، خرج بعدها عن الطريق، متخطيًا المسافةَ بقفزات هائلة، وشقَّ طريقه إلى عُمق الوادي الصخري. انتفخ رداؤه المرقَّع بفِعل الرياح خلال عدوِّه، وارتفعت ذراعاه إلى أعلى، بدا كما لو كان جاهزًا للطيران. انزلق على أحد منحدرات التلّ أمامه وتدحرج بسرعة ككتلة رمادية، ثم سار متسكِّعًا على الصخور، جلس بعدها على الجبل ووبَّخه بغضبٍ بقبضته.

"والآن ما بالك أنت، أيها اللعين...".

وفجأة غيَّر سُرعةَ تَحرُّكاته، وببطء شديد وبتركيز، اختار مكانًا بالقرب من صخرة كبيرة وجلس على عجل. استدار، باحثًا عن وضع مريح، ووضع يديه وكفَّه على الصخرة الرمادية، وانحنى في وضعِ سجودٍ، ضاغطًا رأسه عليها بشدَّة. وجلس هكذا لمدة ساعتين، لا يتحرَّك... خادعًا الطيور من حوله، ساكنًا رماديًا، لا يمكنك تفريقه عن الصخرة الراقد فوقها. أمامه وخلفه، ومن حوله، ارتفعت جدران الوادي إلى أعلى، صانِعةً خَطًّا حادًّا يفصل قِمَّته عن حواف السماء الزرقاء، وقد انتشرت حُفَرٌ في الأرض من صُنع صخورٍ ضخمة في كل مكان- وكأن مطرًا من الصخور سقط هنا يومًا ما، وقد تجمَّدَت قطراته الثقيلة وتحوَّلَت إلى صخور صمَّاءَ راقدةٍ، تتأمَّل. بدا الوادي المهجور أشبه بجمجمة مقلوبة بتعريجاتٍ على سطحها، كل صخرة فيه مثل فكرة مجمَّدة، رقد الكثير منهم هناك، يفكِّرون- بشقِّ الأنفس، بأفكار مضطربة بلا حدود.

والآن، عرَّج عقربٌ مخدوعٌ مقتربًا بودٍّ من ساقَيْ "يهوذا" المهتزَّتَيْن. نظر "يهوذا" إليه دون أن يحرِّك رأسه بعيدًا عن الصخرة، ومرة أخرى

Scanned with CamScanner

انغلقت عيناه، لم تتحرك أيُهما، وقد غطّاهما ضباب أبيض غريب، عينٌ عمياء والأخرى مبصرة. بدأ ظلام الليل الهادئ يرتفع نحو السماء، من الصخور من بين الشقوق، ثم صار يلفُّ يهوذا الساكن ويزحف من حوله إلى أعلى- باتجاه السماء الباهتة المضيئة. حلَّ الليلُ بأفكاره وأحلامه.

في تلك الليلة لم يَعُد "يهوذا" إلى المسكن، وتذكَّره التلاميذ، الذين تشتَّتوا عن تأمُّلهم من شديد حاجتهم إلى الطعام والشراب، وأظهروا استياءهم من إهمال "يهوذا" المتعمَّد.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الثالث

ذات يوم، في منتصف النهار، بينما كان المسيح وتلاميذه مسافرون على طول طريق جبلي صخري خالٍ من الظل، وإذ استمرَّت مسيرتهم بالفعل لأكثر من خمس ساعات، بدأ المسيح يشكو التعب. توقَّف التلاميذ فقام بطرس مع صديقه يوحنا ببسط عباءاتهم على الأرض ووضعوا عباءات تلاميذ آخرين بين صخرتين، وبهذه الطريقة أنشؤوا نوعًا من الخيمة لمعلِّمهم الذي اضطجع في الخيمة مسترخيًا من حرارة الشمس، وقد جلسوا حوله يستمتعون بالحديث وإلقاء النُّكات المبهِجة. لكنهم بعد فترة قرَّروا الابتعاد عنه قليلًا؛ إذ لاحظوا أن الحديث إليه زاد من إرهاقه. انخرطوا بعدها في أنشطة مختلفة تحت الشمس؛ ذلك لكونهم أقلَّ حساسية للحرارة والتعب. بحث البعض عن جذور صالحة للأكل بين الصخور على طول سفح الجبل، ووجدوها، ومنحوا بعضها للمسيح. قام البعض بتسلُّق الجبل أعلى فأعلى،

Scanned with CamScanner

وبحثوا بعناية عن حدود المسافة اللازورديَّة بين الجبل والسماء، فلم يستطع أيٌّ منهم بلوغها، فاستمرُّوا في محاولاتهم مستعينين بالصخور المدبَّبة مُثبَّتين أقدامهم عليها. وجد "يوحنا" سحليَّةً زرقاء جميلة بين الصخور، أمسكها في راحتيه الناعمتين وضحك بلطف، أحضرها إلى المسيح، وحدَّقت السحلية بعيونها المحدَّبة والغامضة في عينيه، ثم زحفت بسرعة بجسدها الصغير البارد أسفل يده الدافئة، حملت بعدها ذيلها المرتعش وفرَّت بعيدًا عنه.

أمَّا "بطرس"، و"فيليب" اللذان أرادا الاستمتاع بعيدًا عن الملذَّات الهادئة، فقد أبقيا نفسيهما منشغلين برفع صخور كبيرة من سفح الجبل وإلقائها في معركة قوة. وقد جذبت ضحكاتهما العالية التلاميذ الآخرين، فاجتمعوا حولهم تدريجيًّا وانضمُّوا إلى اللعبة. مارسوا جهدًا لا يقارَن، تخيَّروا صخرة قديمة متضخِّمة من الأرض، ورفعوها بأذرُعِهم، وأطلقوها على جانب الجبل. كانت الصخرة الثقيلة تُصدِر صوتًا باهتًا مع كل اصطدام، يتوقَّف "بطرس" لحظة للتفكير، ثم -بتردُّد- يقفز عاليا، وفور أن يَمَسَّ الأرض، تمنحه كل سرعة وقوَّة، يصير أخفَّ وزنًا، أكثرَ ضَراوةً، وأعظمَ تدميرًا. بعد كل مرَّة، لم يَعُد يقفز، صار يطير بابتسامة واسعة وأسنانه مكشوفة للهواء الذي يدور حول جسده المستدير، مُصدِرًا فحيحًا كصوت عاصفة. ها هي الصخرة تقترب من الحافَّة، بحركة أخيرة، ترتفع الصخرة لأعلى وبهدوء، تضيع في تفكير ثقيل كمُرسِلها، تدور في الهواء وتسقط في مأواها الأخير نحو قاع هاوية غير مرئية.

"هيا، واحدة أخرى!" صرخ "بطرس". كانت أسنانه البيضاء تتلألأ بين لحيته السوداء وشاربه، وصدره وذراعاه القويَّتان مكشوفة، بينما الصخور القديمة الغاضبة، التي تُرِكَت في دهشة باهتة من القوة التي رفعتها، تندفع إلى الهاوية واحدة تلو الأخرى. حتى "يوحنا" الضعيف كان يرمي حجارة صغيرة، كان المسيح يراقبهم مبتسمًا بنعومة.

Scanned with CamScanner

"وماذا عنك يا يهوذا؟ لماذا لا تشارك في اللعبة- يبدو أنها مُمتِعة للغاية؟" سأل "توما" صديقه الغريب الذي جلس ساكنًا وراء صخرة رمادية كبيرة.

"صدري يؤلمني قليلًا، كما أنه لم تتِمَّ دعوتي".

"ولكن هل ضروري أن يدعوك أحدٌ بالذات؟ حسنًا، أنا أدعوك، تعال. انظر فقط إلى الصخور التي يقذفها "بطرس"".

نظر "يهوذا" إلى حيث أشار بطرف عينيه، حينها، وللمرة الأولى، انتاب "توما" شكٌ غامضٌ في أن "يهوذا الإسخريوطي" له وجهان. لكنه -وإذ قاطعه "يهوذا"- لم يجد الوقت ليبحث عميقًا داخل الفكرة، قال يهوذا بنبرته المعتادة التي جمَعَت بين المزاح والسخرية:

"وهل هناك مَن هو أقوى من بطرس؟ عندما يصرخ، تعتقد كل الحمير في القدس أن المسيح قد جاء فتبدأ بالصراخ أيضًا. هل سمعت صراخهم من قبل يا "توما"؟".

يبتسم "يهوذا" بخجلٍ بينما يلفُّ صدره المغمور بالشَّعر الأحمر المجَعَّد بردائه، ثم يدخل إلى دائرة المتسابقين. ولأن الجميع كانوا يقضون وقتًا ممتعًا بالفعل؛ استقبلوه بفرح وبصيحات مرحِّبة، وحتى "يوحنا" ابتسم مطاوعًا بدبلوماسية عندما استوعب "يهوذا" صخرة ضخمة، محاولًا اجتذاب آهات الإعجاب. تقدَّم بعد ذلك ورفعها دون عناء وألقى بها على الأرض، تذبذبت عينه العمياء الواسعة واحتوت "بطرس"، بينما امتلأت الأخرى المبصرة الخبيثةُ بفائضٍ من الضحك الوقور.

"لا، ألقِ واحدةً أخرى!" قال "بطرس" بسخط. وهكذا، ظلُّوا يتسابقون، رفعوا -واحدًا تلو الآخر- صخورًا ضخمة وألقوها على الأرض، وقف التلاميذ يراقبون في ذهول. ألقى "بطرس" صخرة كبيرة، فرفع "يهوذا" واحدة أكبر. انتقى "بطرس" صخرة بَدَت أشبهَ بقطعة

Scanned with CamScanner

مـن جبـل، حملهـا بوجـه صـارم متحفِّـز، اسـتمرَّ يرفعهـا فتسـقط عـن يديه المرتجفـة مـن ثقلهـا. اسـتمرَّ "يهـوذا" في الابتسـام، بحـث عـن شـظية أكبر، حفـر فيهـا بأصابعـه الطويلـة، حتـى التصقـت بثقوبهـا التـي صَنَعَ، تَمايَل معهـا، وبوجـه شـاحب وتصميـم ألقـى بهـا نحـو الهاويـة. بعـد أن رمـى "بطـرس" صخرتـه التاليـة، وقـف يراقـب سـقوطها، لكـن يهـوذا انحنـى إلى الأمـام، وثنـى ظهـره ومـدَّ يديـه، كـما لـو كان يريـد أن يطـير خلـف صخرة "بطـرس". أخـيرًا، أمسـك كلاهـما -"بطـرس" أوَّلًا، ثـم "يهـوذا"- بصخـرة عظيمـة رماديـة اللـون، ولم يتمكَّنـا مـن رفعهـا، لا أحـد منهـما اسـتطاع. اقـترب بطـرس مـن المسـيح وقـال بصـوت عـالٍ:

"سـيدي ومعلمـي! لا أسـتطيع أن أتحمَّـل رؤيـة "يهـوذا" أقـوى منـي. سـاعدني في رفـع تلـك الصخـرة وإلقائهـا.

أجابه المسيحُ بعبارات لطيفة مهوِّنًا من الشأن.

غـير راضٍ، هـزَّ "بطـرس" كتفيـه ولم يجـرؤ عـلى الاعـتراض، ثـم عـاد يقـول:

"لقد اعتاد الشكوى قائلًا: ومَن ينصر "الإسخريوطي"؟".

نظـر "بطـرس" بعدهـا إلى "يهـوذا"، الـذي كان يلهـث ويضغـط عـلى أسـنانه، مسـتمرًّا في عنـاق الصخـرة العنيـدة، ضاحـكًا بمـرح.

قال "بطرس" حين عاد إلى الحلبة:

"كم هو مريض فعلًا! انظروا إلى "يهوذا" المسكين المتألِّم!".

ضحـك "يهـوذا" نفسـه، ووجـد نفسـه غارقًـا في كذبتـه وادِّعائـه المـرض، بـدأ الآخـرون يشـاركونهم الضحـك، وحتـى "تومـا"، رسـم ابتسـامةً عـلى شـاربه المعلَّـق فـوق شـفتيه، وهكـذا، تَجـاذَبَ الجميـع أطـراف الحديـث بشـكل ودِّيٍّ، وانطلقـوا في الطريـق، تَصالَـح "بطـرس" تمامًـا مـع فـوز "يهـوذا"، دافعًـا إيَّـاه بقبضـةٍ ودودة، ضاحـكًا بصـوتٍ عـالٍ:

Scanned with CamScanner

"ألهذه الدرجة كنت مريضًا!".

امتدح الجميع "يهوذا"، واعترف به الجميع على أنه الفائز، وتَودَّدوا إليه، لكن المسيح... مرَّةً أخرى، تَجاهَل الأمر، تجاهل تمامًا توجيه المدح لـ "يهوذا".

سار المسيح في صمتٍ في مُقدِّمة الحشد، يقضم قطعة من العشب. وبالتدريج، توقَّف التلاميذ، واحدًا تلو الآخر، عن الضحك وساروا نحو المسيح مجاورينه. لم يلبثوا إلَّا أن احتشدوا جميعًا مرة أخرى في المقدِّمة، أمَّا "يهوذا" -"يهوذا" المنتصر، "يهوذا" القوي- فظلَّ سائرًا في الخلف، مُبتَلِعًا الغبار...

والآن توقَّفوا، ووضع المسيح إحدى يديه على كتف "بطرس"، وأشار باليد الأخرى إلى المسافة حيث بدأت أورشليم بالفعل في الكشف عن نفسها من خلف الضباب على مرمى البصر. قبَّل "بطرس" القويُّ الكَفَّ الحانية النحيلة التي لوَّحَتها الشمس، تلك التي حطَّت منذ لحظات على كتفه.

توقَّفوا طوال الليل في "بيت عنيا"[1]، في منزل "لعازر"[2]. عندما اجتمع الجمع للحديث، اعتقد "يهوذا" أنهم سيتذكَّرون الآن انتصاره على "بطرس"، فجلس بالقرب منهم. لكن التلاميذ كانوا هادئين بشكل غير عادي. كانت صور الطريق الذي سلكوه تتدفَّق بهدوء في أذهانهم: الشمس، والصخور، والعشب، بينما المسيح مستلقٍ في الخيمة؛ الأمر الذي أشاع في المكان رغبةً عميقة في التأمُّل، وولادة

---

(1) اسمٌ آرامي معناه "بيت البؤس أو البائس"، وهي قرية إلى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون، على بُعد ميلين من أورشليم تقريبًا.

(2) لعازر: صديق السَّيِّد المسيح الذي وَرَدَ عنه في الإنجيل كون المسيح قد وصل متأخِّرًا لعلاجه، فوجده قد مات، وبعد ثلاثة أيام، أعاده المسيح إلى الحياة وأخرجه من القبر، لم يَرِد في الإنجيل أي شيء عن حياة لعازر بعد قيامته، كتب "ليونيد أندرييف" مؤلف هذا الكتاب نوفيلا يحكي فيها نسخته عن قصة "لعازر" كما الحال هنا في نسخته عن قصة "يهوذا".

Scanned with CamScanner

أحلام اليقظة، رؤى غامضة ولكنها حلوة. استراحت الأجساد المرهقة بسرور، تشحذ فكرها أمور مُبهَمة، جميلة وراقية، ولم يخطر "يهوذا" على قلب أحد.

فخرج "يهوذا"، ثم عاد. كان المسيح حينها يتكلّم بينما تلاميذه يستمعون إلى خطابه في صمت. كانت "مريم المجدلية"[1] جالسةً عند قدميه، بلا حراك، مثل تمثال، ورأسها مرفوع، كانت تنظر إلى وجهه. حاول "يوحنا" أن يلمس رداء المعلّم بكفّيه تَبرُّكًا، حريصًا على ألّا يزعجه. لمسه وتجمَّد في مكانه من شِدَّة حرصه. أمّا "بطرس" فقد علا صوت تَنفُّسه، مُردِّدًا من بين أنفاسه كلمات المسيح المبارَكة.

توقَّف "الإسخريوطي" عند المدخل وتجاوز التلاميذ بازدراء، وركّز كل غضبه المشتعل نارًا على المسيح. وكلّما نظر إليه أكثر؛ كلّما تلاشى كل شيء من حوله، وتلحَّف بالظلمة والصمت، لم يَبقَ أمام ناظريه من كائن حي سوى المسيح بيده المرفوعة. تخيَّل المعلّم طيفًا يُحلِّق في الهواء، كما لو أنه قد ذاب وأصبح الآن مكوَّنًا بالكامل من ضباب يُبدِّده ضوء القمر. وبدا حديثه اللطيف أبعدَ ما يكون عن مسامعه. وبينما كان يحدِّق في الشبح المتذبذب، مستمعًا إلى اللحن الناعم للكلمات الطَّيفيَّة البعيدة، أمسك "يهوذا" روحه كلها بأصابعه الحديدية، وبدأ في صمتٍ ببناء كيانٍ هائل تعلو جذوره من كآبةٍ لا حدود لها. ببطء، في ظُلمة عميقة، رفع بخياله قامات هائلة، مثل الجبال، رصَّ بعضها فوق بعض بسلاسة، ثم رفعها مرَّةً أخرى كمن يشحذ خياله، ثم أعاد بناءها من جديد. شيء هناك ظلَّ ينمو في الظلام، وينتشر بصمتٍ، ويمدُّ حدوده. الآن يمكنه أن يشعر برأسه قد صار مثل القُبَّة، وفي ظلامه، ذلك العسير على الاختراق، استمرَّ

(1) إحدى تلاميذ المسيح، تُعَدُّ رمزًا لتوبة الخاطئين، رافقَت الجَمعَ منذ بداية إعلانه برسالته على الناس، وحتى رحلته الأخيرة إلى أورشليم.

Scanned with CamScanner

شيء هائـل في النمـو، كان وعيـه يعمـل بصمـت: حمـل هيـاكل شـبيهة بالجبـال، ووضـع أحدهـا فـوق الآخـر، ثـم رفعهـا مـن مَنبَتِهـا مـرة أخـرى... وفي مـكانٍ مـا، عَلَـت مـرّةً أخـرى الكلـماتُ الآتيـة مـن الطيـف الشـبحي المعلَّـق في الهـواء واخترَقَـت مسـامِعَه.

وهكـذا وقـف "يهوذا"، يسـدُّ بجسـده المدخـلَ إلى حيث جلسـوا، ضخمًا وأسـود، كان المسـيح يتكلَّـم، وتـردَّد صـدى كلماتـه عـبر أنفـاس "بطـرس" العاليـة المتقطِّعـة. لكـن فجـأة توقَّـف المسـيح عـن الـكلام- فجـأة، اختـصر نهايـة خطبتـه، أمَّـا "بطـرس"، فقـد بـدا كـما لـو أنـه قـد اسـتيقظ للتَّـوّ، وصرخ بنشـوة:

"سيدي ومُعلِّمي! أهكذا تنكشف لك كلمات الحياة الأبدية!".

لكـن المسـيح كان صامتًـا، بينـما حدَّقَـت عيونـه نحـو شيء مـا. تتبَّـع الجميـع بـصره فِـرأوا في المدخـل "يهـوذا" المرتبـك بفـمٍ مزمـوم وعينـين متجمِّدَتـين. لم يفطـن أيٌّ منهـم إلى مـا يجـري، فبـدؤوا في الضحـك عـلى هيئتـه العابسـة. لكـن "متَّـى" القـارئ الحصيـف للكتـاب المقـدَّس، فلمـس كتـف "يهـوذا" بلُطـفٍ، وهمـس لـه بمـا جـرى في الكتـاب عـلى لسـان سـليمان:

" غَضَبُ الْجَاهِلِ يُعْرَفُ فِي يَوْمِهِ، أَمَّا سَاتِرُ الْهَوَانِ فَهُوَ ذَكِيٌّ".[1]

ذهـل يهـوذا، ارتجـف وأطلـق صرخـة خفيفـة، وبـدأ كل مـا فيـه -عيناه وذراعـاه وسـاقاه- بالتَّشـنُّج في كل اتجـاه كحيـوان مسـعور، قبـل أن يشـعر فجـأة بعيـون مُسـلَّطة عليـه. سـار المسـيح في اتجـاه "يهـوذا"، عـلى شـفتيه كلـمات لا ينطقهـا، مـرَّ بجـواره عابـرًا إيَّـاه، ثـم خارجًـا عـبر المدخـل الـذي صـار الآن خاليًـا...

---

(1)سفر أمثال (16.12)

Scanned with CamScanner

في منتصف الليل شعر "توما" بالقلق؛ فمشى إلى سرير "يهوذا"، وجده جاثمًا على الأرض وسأل:

"هل تبكي يا يهوذا؟".

"لا. اذهب بعيدًا يا "توما"".

"ولكن لماذا تَئِنُّ إذن وتكاد تعتصر أسنانك؟ هل أنتَ بخير؟".

صمت "يهوذا"، بعدها بدأت الكلمات الثقيلة تتساقط واحدةً تلوَ الأخرى من شفتيه، تعباً بالحزن والغضب.

"لماذا لا يحبُّني؟ لماذا يحبُّ الآخرين؟ ألستُ أجملَ منهم، أفضلَ وأقوى منهم؟ ألم أكُن أنا مَن أنقذ حياته، بينما جرى الآخرون مرتعبين، مثل الكلاب الجبانة؟".

"صديقي المسكين، لا تحمل كلماتك أيًا من أوجُه الحقيقة. أنتَ لستَ جميلًا على الإطلاق، ولسانك مُزعِج كملامِحك. أنتَ تكذب وتفتري باستمرار، فكيف تتوقَّع أن يُحبَّكَ المسيح؟".

ولكن كأن "يهوذا" لم يسمعه واستمرَّ في السير حائرًا في ظلام الغرفة.

"لماذا لا يختار جانب "يهوذا"، ويرتاح إلى رفقة الآخرين؟ أولئك الذين لا يحبُّونه؟ أحضر له "يوحنا" سحليَّةً مرتعشة ضعيفة، بينما مَنَحتُه أنا أفعى سامَّة. ألقى "بطرس" الحجارة، بينما كنتُ أنا لأحمل الجبل ذاته بين يديه! لكن ما قيمة الأفعى السَّامَّة في نظره؟ حيوان زاحف تقتلع سِنَّه وحينها سترقد مثل عقدٍ حول رقبة المرء. وما فائدة الجبل إن كان في استطاعته أن يمزِّقه ويدوسه بقدميه عابرًا إيَّاه كمن لا يراه؟ كنت سأمنحه "يهوذا" نفسه، "يهوذا" الشجاع الجميل! وقد اختار هو أن يهلك ويهلك "يهوذا" في إثر تَجاهُله".

"تتفوَّه بالغرائب يا "يهوذا"!".

"شجرة تين ذابلة يجب قَطعُها- كان يقصدني أنا بحديثه لا بُدَّ، فلماذا لا ينأى بنفسه عني تمامًا؟ إنه لا يجرؤ على ذلك يا "توما". أنا أعرفه: إنه يخاف من "يهوذا"! إنه يختبئ من "يهوذا" الشجاع والقوي الجميل! يحب الأغبياء، الخَوَنة، الكذَّابين. أنت كاذبٌ يا "توما"، هل تعرف ذلك؟".

كان "توما" متفاجئًا جدًّا، وأراد الاحتجاج، لكنه اعتقد أن "يهوذا" كان ببساطة ينفِّس عن غضبه؛ ولذلك أحجم عن إبداء أي ردٍّ فِعلٍ سوى هَزِّ رأسه في الظلام. ازداد حزن "يهوذا". كان يئنُّ، يضغط على أسنانه، ويمكن للمرء في رفقته أن يسمع كيف كان جسده الكبير كله يتحرك بقلق تحت الغطاء.

"ما الذي يؤذيه في قُرب "يهوذا" منه؟ لماذا يدفعه إلى النار؟ هل يتخلى عن جسد ابنه للكلاب؟ أو يمنح ابنته لقُطَّاع الطرق؟ أم يُسلِّم الكرامة لنفحات الغضب؟ أليس "يهوذا" قلبًا رقيقًا؟ اذهب بعيدًا يا "توما"، اغرب أيها الأحمق، دعه وحده، دَعْ "يهوذا" القوي، الشجاع، الجميل وحده".

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الرابع

سرق "يهوذا" بعض الدنانير من عهدته، واكتشف "توما" الأمر؛ لكونه قد اطَّلع بالصدفة على التبرُّعات التي حصلوا عليها وكان يعلم عددها بالتحديد. توقَّع الجميع أن تلك بالطبع لم تكن سرقة "يهوذا" الأولى؛ لذا تفاقَم غضبهم. أمسك "بطرس" الغاضب "يهوذا" من بقية ردائه، وكاد من قوة قبضته أن يجرُّه على الأرض، ثم أوقفه بين يدي المسيح، الأمر الذي لم يقاومه "يهوذا"، الخائف، ذو الوجه الشاحب.

"سيدي ومعلمي، انظر! ها هو... الجوكر! ها هو... اللص! لقد منحتَه ثقتكَ وهو يسرق أموالنا. لص! الوغد! إذا سمحت لي فسوف...".

لكن المسيح كان صامتًا. نظر إليه "بطرس" في انتظار ردِّ فعله. ثم ترك باقة "يهوذا"، مُنفُضًا يديه كما لو من قذارة طالتها. اعتدل "يهوذا"، وأصلح من وضع ملابسه، ثم نظر بطرف عينيه إلى "بطرس". بعدها أكسب وجهه حزنًا يليق بملامح المجرم التائب.

"على كل حال، ها هو بين يديك!" قال "بطرس" بغضبٍ وأغلق الباب خلفه في عصبية.

كان الجميع في حالة استنفار وانزعاج، ولم يكن على لسانهم سوى التصريح بأنهم لن يبقوا أبدًا في مكان واحد مع "يهوذا" اللِّصّ هذا. أمَّا "يوحنا" فقد واتته فكرة، تسلَّل إلى المدخل حيث يمكن للمرء أن يستمع من خلف الباب إلى صوت المسيح، والذي وجده ناعمًا حنونًا بينما يتحدَّث إلى "يهوذا". بعد فترة، خرج "يوحنا" إلى الجمع، كان شاحبًا وعيناه محمرَّتان كأنهما قد ذرفتا للتَّوِّ دموعًا.

"قال المعلم... قال المعلم لـ "يهوذا" إنه يستطيع أن يأخذ من المال بقدر ما يشاء".

ضحك "بطرس" بسخط. نظر "يوحنا" إليه سريعًا مُوبِّخًا ردَّ فِعله، وفجأة اشتعل الغضب في عيونه مختلطًا بالدموع، وصرخ بصوت عالٍ:

"قال المعلم أيضًا إنه لا يجوز لأحدٍ أن يحصي مقدار التبرُّعات التي يتلقَّاها "يهوذا". هو أخونا، وكل المال له، كما هو لنا، وإذا احتاج إلى الكثير فليأخذه دون إخبار أحدٍ ودون استشارة أحد. "يهوذا" شقيقنا، وقد أسأنا إليه بشدَّة- هكذا قال المعلم... عارٌ علينا أيُّها الإخوة".

في المدخل وقف "يهوذا" شاحبًا مبتسمًا منحنيًا، واقترب منه "يوحنَّا" بحركةٍ خفيفة وقبَّله ثلاث مرَّات، نظر يعقوب وفيليب والآخرون إلى بعضهم البعض يملؤهم الحَرَج- بعد كل قُبلةٍ كان "يهوذا" يمسح بيده أثرها.

بعدها اقترب "بطرس".

"كلُّنا حمقى هنا، كلُّنا عميان، أمَّا "يهوذا" فهو وحده الرَّائي، هو وحده الحكيم، هل يمكنني أن أقبِّلَك؟".

"تُقبِّلني؟ نعم، ولِم لا؟". وافق "يهوذا".

Scanned with CamScanner

قبّله بطرس بقوّةٍ ثم تحدّث بصوتٍ عالٍ قريبًا من أذنه.

"حتى إنني كِدتُ أن أخنقك، أعني أن لكلٍّ طريقته في إمساك السارقين، أمّا أنا فأتوجّه مباشرة للحَلق، لم تتأذَّ أليس كذلك؟".

"قليلًا".

"سأذهب إلى المعلم وأعترف بكل ذنبي، سأخبره حتى عن غضبي منه"، قال "بطرس" بتجهُّمٍ محاولًا فتح الباب برفق دون إحداث ضوضاء.

"وماذا عنك يا توما؟" سأل "يوحنا" بصرامة، أمّا "توما" فلم يكن حاضرًا بالكُلّيّة، كان واقفًا يراقب أفعال وأقوال الحاضرين.

"لا أعرف رأيي بعدُ، أحتاج للتفكير في هذا الشأن".

أمضى "توما" وقتًا طويلًا في التفكير، طوال اليوم تقريبًا. انشغل التلاميذ بعيدًا، كُلٌّ في أعماله، وفي مكان ما خلف الحائط كان "بطرس" يمارس شؤونه بصوته العالي المعتاد، وبنبرته المَرِحة، غير أن عقله كان ما يزال غارقًا في التفكير، أمّا "توما" فكان ليصل لنتيجةٍ أسرعَ لولا "يهوذا" الذي أعاقه بمراقبته المستمرّة وبنظراته الساخرة، ثم ظهوره من وقت لآخر ليسأله بجدّيّة:

"حسنًا، "توما"؟ كيف تسير الأعمال؟".

أحضر "يهوذا" صندوق المال الخاص به، وتظاهر بعدم النظر إلى "توما"، وبدأ في عَدِّ النقود بصوتٍ عالٍ، مستمتعًا برنين العملات المعدنية.

"واحد وعشرون، اثنان وعشرون، ثلاثة وعشرون... انظر يا "توما"، عُملة مُزيّفة أخرى. آه، الكل مُحتالٌ في نهاية الأمر، حتى تبرُّعاتهم للخير، يحتالون فيها مُضحِّين بعُملات مُزيّفة... أربعة وعشرون،

Scanned with CamScanner

أظنهم الآن حين يجدون النقود قليلة سيقولون إن "يهوذا" لا بُدَّ سرق باقي العملات، خمسة وعشرون، ستة وعشرون".

اقترب منه "توما" بحزم، كان المساء قد حلَّ بالفعل، مال على رأسه وقبَّلها.

"المعلم على حقٍّ يا "يهوذا"، دعني أُقبِّلكَ".

"هل تظنُّ ذلك؟ تسعة وعشرون... ثلاثون، ربما لم يكن رأيه في صحيحًا، وسأعود إلى السرقة مُجدَّدًا، واحد وثلاثون...".

"كيف يمكنك أن تسرق ما لا تملكه لا أنتَ ولا نحن؟ فقط استمرَّ في أخْذِ ما تحتاجه يا أخي".

"هل استغرقت كلَّ هذا الوقت في التفكير فقط لتُردِّد كلماته؟ لا تعرف قيمة الوقت حقًّا يا "توما" الذكي، أليس كذلك؟".

"يبدو أنك تسخر مني يا أخي".

"فكِّر فقط، هل تكرارُكَ لكلماته، يا "توما" الفاضل، عملًا مجيدًا؟ بعد كل شيء، ما قلته ليس سوى تفسيره وكلماته... ليست كلماتِكَ، كان هو الذي اختار تقبيلي، لقد دنَّستُم رأسي كثيرًا. ما زلتُ أشعر بأثر شفاهكم المبتلَّة عليها. أمر مثير للاشمئزاز يا "توما" اللطيف. ثمانية وثلاثون، تسعة وثلاثون، أربعون، أربعون دينارًا يا "توما"، هل تصدِّق؟".

"لكنه مُعلِّمنا. كيف لا نُكرِّر كلام المُعلِّم؟".

"هل ما تزال ياقتي في محلِّها؟ هل عنقي الآن عارٍ دون ما يدفئه؟ هل إذا قرَّر المُعلِّم أن أغادر المنزل إن سرق "يهوذا" ثلاثة دنانير بغير قصدٍ، ألن تكون أوَّلَ مَن يعود إلى الإمساك بي من رقبتي؟".

"الآن صِرنا نعلم يا "يهوذا"، لقد فهمنا".

Scanned with CamScanner

"لكن أليس من المفترض أن للتلاميذ في العموم نوايا سيئة؟ ألا يخدع التلاميذ مُعلِّميهم خوفًا من العقاب؟ كأن يرفع المعلِّمُ العصا، فيصرخ التلاميذ: نعم نحن نفهم! لكن عندما ينام المعلم، يتساءل الطُّلَّاب عمَّا كان المعلم يقصده في النهار! هكذا الأمر هنا بالضبط. في الصباح وصفتني باللص، وهذا المساء تدعوني أخاكَ، وماذا في ظنِّكَ سأراني غدًا؟".

ضحك "يهوذا" ورفع الصندوق دون عناء، ثم تابع حديثه:

"عندما تهبُّ الريح عاليًا، ينظر الأغبياء إلى الرمال ويقولون: آه من قوَّة الريح، لكنها رمال يا عزيزي "توما"، مجرَّد رمال قَذِرة من مُخلَّفاتِ داستها الحمير بأقدامها، ترفعها الرياح حتى تصطدم بحائط ما فتسقط عنها إلى الأرض، أمَّا الرياح فلا تسقط، وإنما تستمرُّ عاليًا في الهواء".

أشار "يهوذا" إلى الحائط أمامه وعاد للضحك.

قال "توما": "أنا مبتهجٌ لتلك السعادة التي تجعلك تضحك، ولكن من المؤسف أن هناك الكثير من الحقد في نبرتك السعيدة".

"كيف يمكن لرجُلٍ قد قبَّلوه كل تلك المرات اليوم ألَّا يكون سعيدًا؟ إذا لم أسرق الدنانير الثلاثة لم يكن "يوحنَّا" ليعرف شيئًا عن الظُّلم، أليس من اللطيف أن تكون الرَّفَّ الذي يُعلَّق عليه الجميعُ أخطاءهم لتجفَّ؟ أليس من اللطيف التعرُّف إلى فضيلة "يوحنا" الرطبة كقُبلَتِه وعقله الذي أكله العثُّ؟".

"أعتقد أنه من الأفضل أن أغادر".

"لكني أمزح فقط، في الحقيقة أنا أمزح فقط يا صديقي "توما"... أردتُ فقط أن أعرف ما إذا كانت قُبلَتُكَ حقيقيَّةً، ناتجة عن قرار

Scanned with CamScanner

شـخصي بتقبيـل "يهـوذا" العجـوز البغيـض، اللّـصّ الـذي سرق ثلاثـة دينـارات وأعطاهـا لعاهـرة".

"عاهرة؟"، تَفاجَأ "توما". "هل أخبرتَ المُعلِّم عن هذا؟".

"مـرة أخـرى يبـدو شـكُّكَ نحـوي واضحًا. نعـم عاهـرة. لكـن لـو كنـتَ تعـرف فقـط يـا "توما"، يـا لهـا مـن امـرأة مسـكينة. ليومـين متتالـين عَدِمَـت مـا تأكلـه".

"هـل تعـرف هـذا عـلى وجـه اليقـين؟" أصـاب "توما" حَـرجٌ مـن السـؤال.

"نعـم بالطبـع؛ ذلـك لأننـي قـد أقمـتُ لديهـا طـوال هذيـن اليومـين، رأيـت بعينـي أنهـا لم تـأكل شـيئًا، ولم تـشرب سـوى النبيـذ الأحمـر، كنـتَ ترتجـف مـن الإرهـاق، وكذلـك كنـتُ أنـا أيضًـا".

نهض "توما" سريعًا ثم عاد إلى "يهوذا" بعد عدَّة خطوات.

"يبدو أن الشيطان قد استحوذ عليك يا "يهوذا"".

اسـتمع "توما" لصـوت صنـدوق النقـود ورنينـه في يـدي "يهـوذا" بينما يغـادر الغرفـة، بـدا الرنـين موحيًـا وكأنـه نغمـة تُشـفِق عـلى مـا سـار إليـه الوضـع، بينـما "يهـوذا" في واقـع الأمـر مـا يـزال يضحـك.

ولكـن في اليـوم التـالي، اضطـرَّ "توما" أن يعـترف بأنـه أخطـا في حـق "يهـوذا"- كان الإسـخريوطي واضحًـا جـدًّا، ولطيفًـا جـدًّا، ولكنـه في نفـس الوقـت جـاد جـدًّا. لا يتجهَّـم، ولا يسـخر مـن أحـد، لا ينحنـي ولا يهـين، يعمـل عـلى أداء مَهامِّـه بهـدوء وبعيـدًا عـن الأنظـار، رشـيقًا كـما هـو حالـه دائمًـا- بـدا كـما لـو لم يكـن لديـه سـاقان مثـل أي شـخص آخـر، ولكن دزينـة، لكنـه ركـض بـلا صـوت، دون صراخ أو جلبـة، حتـى ضحكـة الضبع التـي لم تكـن تفـارق شـفتيه، اختفـت. عندمـا بـدأ المسـيح يتكلَّـم، جلـس "يهـوذا" بهـدوءٍ في الزاويـة، يطـوي يديـه ورجليـه، ويحـدِّق باهتـمام شـديد

Scanned with CamScanner

بعينيه الكبيرتين لدرجة أن الكثيرين لاحظوا ذلك. توقَّف "يهوذا" عن ذِكر الناس بالسُّوء، واكتسب هدوءًا في غالب أوقاته، حتى إن "متَّى" وجَّه له مديحًا على لسان "سليمان".

"اَلْمُحْتَقِرُ صَاحِبَهُ هُوَ نَاقِصُ الْفَهْمِ، أَمَّا ذُو الْفَهْمِ فَيَسْكُتُ".[1]

ورفع إصبعه في إشارة إلى وقاحة "يهوذا" السابقة. سرعان ما لاحظ الجميع هذا التغيير الذي أصاب "يهوذا" وابتهجوا به، بينما استمرَّ المسيح وحده في منحه تلك النظرة الغريبة، على الرغم من أنه لم يُبدِ أيَّ فِعلٍ أو بادرة مباشرة تخبر عن أي مشاعر كراهية قد يحملها له. حتى "يوحنا" نفسه، بدأ يعامله بلُطفٍ إلى حدٍّ ما وقد أظهر له "يهوذا" تقديرًا عميقًا، بصفته تلميذًا مقرَّبًا للمسيح، وباعتباره الشخص الذي تَدخَّل نيابة عنه في قضية الدنانير الثلاثة، حتى إن "يوحنا" قد اعتاد إشراكه في المحادثات من حين لآخر.

قال له ذات مرة بنبرة متعالية: "ما رأيك يا "يهوذا"، أيٌّ مِنَّا: "بطرس" أم أنا، سيكون بجانب المسيح في ملكوته السماوي؟".

فكَّر "يهوذا" بُرهةً وأجاب:

"أعتقد أنه سيكون أنتَ".

ضحك "يوحنا": "يظنُّ بطرس" أنه الأقرب له؛ وبالتالي ستكون تلك مكانته".

"لا. سيُشتِّت "بطرس" جميعَ الملائكة بصيحاته- هل تسمع عِلَّة صوته حين يصرخ؟ بالطبع، لن يتوقَّف أبدًا عن جدالك وعن محاولة الحصول على المكانة الأقرب؛ ذلك لأنه لا يكِلُّ عن محاولة إقناعنا بأنه أيضًا يحب المسيح- لكنه قد تقدَّم بالعمر منذ سنوات طوال،

---

(1) سفر أمثال (12:11)

أمّا أنت فما تزال شابًّا، تحمله ساقاه بالكاد، أمّا أنت فسريع الخُطى؛ وبالتالي ستكون أوّلَ مَن يلحق بالمسيح إلى الملكوت، أليس كذلك؟".

وافق "يوحنّا" على نظرية "يهوذا" قائلًا: "نعم، لن أترك المسيح أبدًا".

وفي نفس اليوم، اقترب "بطرس سمعان" من "يهوذا" بنفس السؤال. ولكن خوفًا من أن يسمع الآخرون صوته العالي؛ قاد "يهوذا" إلى أبعد رُكنٍ خلف المنزل.

"حسنًا ماذا تعتقد؟" سأل بقلق. "أنت ذكيٌّ، المُعلّم نفسه يَمتَدِحُكَ لذكائكَ، وستقول الحقيقة".

أجاب الإسخريوطي دون تردُّد: "أنت بالطبع". فصرخ "بطرس" ساخطًا.

"هذا ما قُلتُه له!".

"لكنه، بالطبع، سيحاول انتزاع المركز الأول منك حتى هناك".

"بالطَّبع!".

"ولكن ماذا يمكنه أن يفعل إن سبقته واحتَلَلتَ المكان هناك بالفعل؟ بعد كل شيء، ألن تكون أول مَن يلحق بالمسيح حينما يرحل إلى الملكوت؟ لن تتخلّى عنه، أليس كذلك؟ ألم يَدعُكَ لقُربِه على صخرته؟".

وضع "بطرس" يده على كتف "يهوذا" وتحدَّث بحماس:

"دعني أخبرك أمرًا يا "يهوذا"، أنتَ أذكى منّا جميعًا. فقط لماذا تتمسَّك بكونك مستهزئًا دائمًا وخبيثًا؟ لتعرف أن المعلم لا يحبُّ ذلك، إن تخلَّيتَ عن تلك الصفات لَصِرتَ أحدَ تلاميذه المقرَّبين، لستَ أسوأ من "يوحنا" على كل حال. لكن على كل عموم، ليست تلك المكانة

Scanned with CamScanner

لك ولا له". رفع "بطرس" إصبعه مُهدِّدًا، "لن أتنازل عن مكاني بجوار المسيح، لا على الأرض ولا هناك، هل تسمعني؟".

هكذا حاول "يهوذا" أن يُرضي الجميع، بينما في داخله لا يهتمُّ سوى لشأنٍ خاصٍّ ظلَّ يشغله، ظلَّ متواضعًا ومنضبطًا وغامضًا، استطاع أن يخبر كلًا بما يريد وبما يرضى، لعبة مارسها ووجد فيها مُتعةً غير عادية، حكى عنها لـ "توما" قائلًا:

"الغبي يصدِّق كلَّ كلمة، والرجل الحكيم يفكر في خطواته".

حتى متَّى، الذي عانى إلى حدٍّ ما من الإفراط في الطعام والشراب، الأمر الذي كان يخجل منه، اقترب منه "يهوذا" وأرضى نفسه الخَجِلَة مستشهدًا بكلمات "سليمان الحكيم" الذي يُوقِّره "متَّى" كثيرًا:

"اَلصِّدِّيقُ يَأْكُلُ لِشَبَعِ نَفْسِهِ، أَمَّا بَطْنُ الأَشْرَارِ فَيَحْتَاجُ."[1]

كان نادرًا ما يتفوَّه بأشياء لطيفة، لكن طريقته في إخبارها وفي أوقات مُعيَّنة كان يضفي عليها بريقًا وأهمِّيَّةً خاصَّة، على أنه اعتمد الصمت في كثير من الأحيان، مُستَمِعًا بانتباه إلى كل ما يقال، مفكِّرًا دائمًا في أموره الخاصة. مع ذلك، ظلَّ مظهر "يهوذا" المتأمِّل مُزعِجًا، مُسلِّيًا وإنَّما مُخيفًا في نفس الوقت. كلَّما تَحرَّكَت عيناه العمياء بدا "يهوذا" بسيطًا ولطيفًا، لكن كلَّما توقَّفت عن الحركة وتجمَّع الجِلد على جبهته المنتفخة في نتوءات وتجاعيد غريبة، ظهرت أشباح بعض الأفكار الغريبة جدًّا التي تتحرَّك بلا كَلَلٍ تحت جُمجُمته. كان يبدو لهم حين صمته غريبًا تمامًا، شاذًّا، يحيطون بتأمُّله الصامت الأصم، راغبين في أن يدفعوه للكلام، حتى ولو كذبًا، قرَّروا أن الباطل وإن نطق به جزافًا لهو نورٌ يضيء ظلام الصمت الذي يحيِّرهم، مقارنة بذاك الخَرَس اليائس الذي لا يتفاعل أو يستجيب.

---

(1) سفر أمثال (25:13)

"هل عُدتَ إلى تَشتُّت أفكارك مرة أخرى يا "يهوذا"؟". صرخ فيه "بطرس" ذات مرّةٍ وانتحى به جانبًا في زاوية مُظلِمة، "بِمَ تُفكِّر؟".

أجاب الإسخريوطي بابتسامة هادئة: "في أشياء كثيرة".

وربما بعد أن لاحظ التأثير السيئ الذي أحدثه صمته على الآخرين صار يقضي وقتًا أطول بعيدًا عن التلاميذ في نزهات فردية، أو يصعد إلى السطح ويجلس هناك في صمت. وقد عانى "توما" بالفعل من ذُعرٍ طفيف عدَّةَ مرّاتٍ بعد اصطدامه بشكلٍ غير مُتوَقَّع في الظلام بكُتلةٍ رمادية غريبة، بعد تَحرِّيه أمرَها، طلَّت من بينها أذرع "يهوذا" وساقاه وصوته الساخر.

مرَّةً واحدة فقط، بطريقة مفاجئة وشديدة الغرابة، استدعى يهوذا روحه السابقة. حدث هذا في منتصف جدالٍ حول أسبقية الفرد في الملكوت السماوي. كان "بطرس" و"يوحنا" يتشاجران في حضور المعلم، وكانا يتنافسان بشغف على مكانهما إلى جانب المسيح، أدرجوا مزاياهم، وقاسوا درجة حُبِّهم له، تشاجروا، صرخوا، حتى إنَّهم وبَّخوا بعضهم البعض دون قيود.

كان وجه "بطرس" أحمر من الغضب الهادر، بينما "يوحنا" شاحب وهادئ قليلًا، ترتجف يداه ويتساقط الكلام اللاذع عن فمه. كانت حجَّتهم تتناطح بالفعل بلا احتشام، وبدأ عبوس المعلم يظهر وينطبع واضحًا على ملامحه. بعدها نظر "بطرس" بالصُّدفة إلى "يهوذا" وصدرت عنه ضحكة متعجرفة، نظر "يوحنا" إلى "يهوذا" وابتسم أيضًا- تذكَّر كلُّ واحد منهم ما قاله لهم "الإسخريوطيُّ" الذكي. وبعد أن غرق كلاهما في خيالات متعة النصر الوشيك، قرَّروا باتفاق ضمني أن يتَّخذوا "يهوذا" قاضيًا بينهم.

صرخ "بطرس":

"تعال يا "يهوذا" الذكي! قُل لنا، مَن الذي سيلحق بالمسيح في الملكوت، ويحوز المركز الأول- هو أم أنا؟".

لكن "يهوذا" ظلَّ صامتًا، متنفِّسًا بصعوبة، كان ينظر في عيون المسيح العميقة الهادئة طامعًا في أن يجد فيها ما ينقذه.

"نعم"، كرَّر "يوحنَّا" باستخفافٍ، "قُل له مَن سيحتلُّ المركز الأول إلى جانب المسيح".

دون أن يَحول بعينه عن المسيح، قام يهوذا ببطء وأجاب بهدوء وأهمية:

"أنا!".

خفض المسيح عينيه ببطء. وضرب الإسخريوطي نفسه بهدوء في صدره بإصبعه العظميَّة، وكرَّر مُنتصرًا وبصرامة:

"أنا! سأكون أنا صاحب المكان المميَّز بجوار المسيح".

ثم غادر.

كان التلاميذ صامتين، مندهشين من غضبته الوَقِحَة، ووحده "بطرس"، الذي تذكَّر فجأة شيئًا ما، همس لتوما بصوت شديد الهدوء:

"هذا فعلًا ما كان يفكر فيه طوال الوقت، هذا ما يظنُّه؟ هل سمعتَ هذا؟".

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الخامس

كان هذا هو الوقت الذي اتَّخذ فيه "يهوذا الإسخريوطي" الخطوة الأولى الحاسمة نحو الخيانة: قرَّر زيارة رئيس الكهنة سِرًّا. لاقى "يهوذا" استقبالًا مُزريًا، لكنه لم يدع ذلك يزعجه وطالب بإجراء مقابلة خاصة مطوَّلة. وبعد أن تُرك وحيدًا مع العجوز الجاف القاسي، الذي نظر إليه بازدراء من تحت جفنيه الثقيلين المتدلِّيَيْن، أوضح له "يهوذا"، أنه في واقع الأمر رَجُلًا تقيًّا، وأنه قد أصبح تلميذًا للرجل الناصريّ بهدفٍ وحيد، هو فضح هذا الدَّجَّال وتسليمه إلى أيدي القانون.

"ومَن يكون هذا الناصري؟" سأل رئيس الكهنة بازدراء، متظاهرًا بسماع اسم المسيح لأول مرة.

تظاهَرَ "يهوذا" أنه صدَّق جهل رئيس الكهنة بالمسيح، حكى له تفصيلًا عن آيات المسيح ومعجزاته، وكراهيته للفريسيِّين والهيكل، وتجاوزاته المستمرَّة لما أنزل في التوراة، وأخيرًا عن رغبته في الاستيلاء

Scanned with CamScanner

على السلطة من الفرّيسيّين[1] من أيدي الكهنة وبناء مملكته الخاصة. مزج "يهوذا" بمهارة بين الباطل والحقيقة، حتى إن "حنانيا"[2] نظر إليه باهتمامٍ وعلّق مُحاوِلًا الاعتراض على أهمية الموقف:

"وهل تخلو الدنيا من المجانين والكذّابين؟".

"لا، إنه رجلٌ خطير!" جادل "يهوذا" بشدّة، "إنه يخالف القانون. والأفضل أن يَهلَكَ رجلٌ واحد من أن يَهلَكَ شعبٌ بأكمله في إثر جنونه".

أومأ "حنانيا" برأسه موافقًا.

"ولكن يبدو أن لديه العديد من التابعين؟".

"نعم، هم كُثر".

"أوه، على الأرجح، يحبُّونه كثيرًا؟".

"نعم، يقولون إنهم يحبونه. وهي حقيقة، يحبُّونه كثيرًا، أكثر من حُبِّهم لأنفسهم".

"لكن إذا قرّرنا القبض عليه، أفلا يشتبكون معنا؟ ألا يثيرون تمرُّدًا؟".

أطلق "يهوذا" ضحكة طويلة وحاقدة

"مَن؟ تلك الكلاب الجبانة، التي ستهرب في اللحظة التي ينحني فيها الرجل أمامهم لالتقاط صخرة. هؤلاء مَن تقصد؟".

"هل هم حقًّا بهذا السُّوء؟" سأل "حنانيا" ببرود.

---

(1) حزب سياسي برز خلال القرن الأول داخل المجتمع اليهودي في فلسطين، ويعود أصل كلمة "فرّيس" إلى "مفرِّز"؛ إذ عدُّوا أنفسهم مُفرَّزين أي مُميَّزين؛ لقداستهم عن باقي الشعب.

(2) حنّان اسم عبري اختصار "حنانيا"، ومعناه: "الرَّبُّ تَحنَّن"، كان حنانيا رئيس كهنة، وزعيماً للحزب الكهنوتي في أورشليم.

Scanned with CamScanner

"وهل يهرب السّيّئون من الأخيار؟ أليس الأخيار هم الذين يُولُون الفرار من الشّرّ؟ هم أخيارٌ؛ لهذا تحديدًا سيختارون الهرب. هم أخيارٌ طيّبو السّريرة؛ لهذا تحديدًا سيختبئون، صالحون؛ لهذا لن يظهروا إلّا عندما يحين وقت اصطحاب معلّمهم إلى القبر، وسوف يتولّون مَهمّة دفنه حينها بأنفسهم، ما عليك سوى إعدامه".

"لكنهم يحبُّونه، لقد أخبرتني ذلك بنفسك توًّا".

"سيحبُّونه أكثر وهو ميّت. بينما المعلّم على قيد الحياة، سيمكنه دومًا أن يسألهم عن تعاليمه، ويعاقبهم إن أخطؤوا، هنا تكمن معاناتهم، لكن حين يموت، سيحتلُّون حينها مكانه، وسيكون العقاب من نصيب آخرين!".

نظر الكاهن بثبات إلى الخائن، وقد تجعّدَت شفتاه مبتسمًا للحكمة.

"لا بُدَّ أن شديد الأذى قد طالكَ منهم، يمكنني أن أرى ذلك بوضوح".

"وهل يخفى شيء عن إدراكك الذي أحاط كل شيء سيدي الحكيم؟ لقد نَفَذتَ عميقًا إلى قلب "يهوذا". نعم، لقد أساؤوا إلى "يهوذا" المسكين، قالوا إنه قد سرق ثلاثة دنانير، وكأن "يهوذا" ليس الرّجُل الأكثر صدقًا في أورشليم".

ظلّ الاثنان يتحدّثان لبعض الوقت عن المسيح وتلاميذه، وعن تأثيره الكارثي على شعب أورشليم- لكنَّ الكاهن الحَذِق شديدَ المكر لم يُعطِ إجابةً حاسمة عن نيّاته في الحال، بل ظلّ يراقب المسيح لفترة طويلة، وبعدها قرّر بالفعل مصير النبي من الجليل في اجتماعاتٍ سرّيّة مع أقاربه وأصدقائه، مع السلطات والصّدُّوقيّين[1]. لكنه كان فاقِدَ الثقة بالفعل في "يهوذا"، لم يَفُته ما سمع عنه بكونه رجلًا سيئًا وغير

(1) الصّدُّوقيّون هم حزب سياسي ديني نشأ ضمن المجتمع اليهودي وذُكِر في العهد الجديد.

أمـين، كـما أنـه لم يرتكـن إلى تلـك التفسـيرات عـن جُـبن تابِعـي المسـيح، والتـي بـدت لـه تافهـة. كان "حنانيـا" واثقًـا مـن قوّتـه، لكنـه خـشي إراقة الدمـاء، أو أن يثـير الأمـرُ أي أعـمال شـغب تنتهـي إلى ترويـع البـلاد ونـشر الشـائعات، الأمـر الـذي في ظنّـه سـيؤدي حتـمًا لثـورة قـد تجتـذب شـعب أورشـليم الغاضـب والمعارضـين للحكـم. وأخـيرًا، كان عظيـم خشيته يكمن في احتماليـة أن تتدخّـل السُّـلطات الرومانيـة في المعركـة بقوّاتها الغاشـمة، مُخضّبـةً البـلاد بدمـاء الضعفـاء، مانِحـةً كلّ مَـن يمـوت صفـة الشـهداء؛ مـا يعنـي أن البدعـة سـتنتشر ويكـون لهـا مريدوهـا فينتهـي أمـر الكَهَنـة والنِّظـام والهيـكل. لمّـا طَـرَق "الإسـخريوطي" بـاب رئيـس الكهنـة للمـرة الثانيـة تجاهلـه ورفـض مقابلتـه. لكـن "الإسـخريوطي" جـاء إليـه للمـرة الثالثـة والرابعـة، بـروحٍ مُثابِـرة لا تهـدأ، مثـل الريـح التـي تـدقُّ ليـلًا ونهـارًا عـلى بـابٍ مُغلَـق وتتنفّـس عـبر فجواتـه.

قـال "يهـوذا"، الـذي مُنِّـيَ أخـيرًا برؤيـة رئيـس الكهنـة: "أسـتطيع أن أرى أن "حنانيـا" الحكيـم يخـاف شـيئًا مـا!".

أجـاب "حنانيـا" بغطرَسـةٍ: "أنـا قـوي بمـا يكفـي حتـى لا يُخيفنـي أيُّ شيء"، فانحنـى "الإسـخريوطي"، ومـدَّ يديـه بخشـوع.

"ماذا تريد؟".

"أريد أن أبيع الناصريَّ لكم".

"لسنا بحاجةٍ إليه".

انحنى يهوذا وانتظر مُسلِّطًا عينه على رئيس الكهنة.

"ارحل".

"لأعود فيما بعدُ يا سيدي الرئيس؟".

"لن يتمَّ السماح لك بمقابلتي، ارحل".

Scanned with CamScanner

بعد زمنٍ لم يَطُل، ظلّ فيه "يهوذا" الإسخريوطي يقرع بابه مرارًا وتكرارًا حتى قُبِلَ أخيرًا معاودة رؤيته، شاعرًا بأعصابه تفور، وبوجهٍ جامد تكاد تخنقه أفكاره، حدّق بصمتٍ في الخائن الواقف أمامه، بدا مُدَقِّقًا فيه كمن يعدُّ شعيرات رأسه الوعر. لكن "يهوذا" أيضًا ظلّ صامتًا- كما لو كان هو نفسه كان يعدُّ شَعر لحية رئيس الكهنة المتناثرة الرمادية الصغيرة.

"أنت مُجدِّدًا؟" انفجر الكاهن غاضبًا، وكأن كلماته بصقةٌ ألقاها على رأس "يهوذا".

"أريد أن أبيع الناصري لكم".

صمت كلاهما واستمرًا في مراقبة بعضهما البعض باهتمام. لكن بينما كان "الإسخريوطي" يُحدِّق بهدوء، كان غضب "حنانيا" الصامت، البارد والجاف، قد بدأ بالفعل في وخز جسده وأعصابه، مثل نسمة الشتاء الباردة قبيل الفجر.

"كم تريد إذن لمسيحك؟".

"وكم ستعطيني؟".

قال "حنانيا" بوقاحة مستمتعًا بفطنته:

"أنتم جميعًا عصابة من الدَّجَّالين. ثلاثون قطعة فضية- هذا هو المبلغ الذي سنقدِّمه لك".

قالها وقد سُرَّ بنفسه، ولكنه أسرَّها في نفسه بعد أن رأى كيف بدأ "يهوذا" في الارتباك والرفرفة والركض- رشيقًا وسريعًا، كما لو كان لديه اثنا عشرة رِجْلًا بدلًا عن ساقين.

"لأبيعك المسيح؟ ثلاثون قطعة فضية؟"، صرخ بصوتٍ شديد النشكُّك، مُسلِّيًا "حنانيا". "للمسيح الناصري!، تريد أن تشتري المسيح

مقابل ثلاثين قطعة فضية؟ وتعتقد أن هناك مَن قد يوافق أن يبيعك المسيح بثلاثين قطعة فضية؟".

استدار "يهوذا" بسرعة نحو الحائط، ورفع ذراعيه الطويلتين، وبدأ يضحك مخاطبًا الجدران:

"هل سمعتَ هذا؟ ثلاثون قطعة فضية! للمسيح".

وبنفس السرور الهادئ، قال "حنانيا" بلا مبالاة:

"إذا كنتَ لا تقبل، ارحل. سنجد رَجُلًا يبيعنا إيَّاه بسعرٍ أقلّ".

ومثل البائعين المتاجرين بالأردية القديمة في سوق قَذِرَة، أولئك الذين يتبادَلون رمي الخِرَق التي لا قيمة لها من يدٍ إلى أخرى، والصراخ والانحناء والشتم، دخل الاثنان في مساومة نارية وحشية حول ثمن الخيانة. كان "يهوذا" مخمورًا بنشوة غريبة، متعجِّلًا، يدور، يصرخ، يستخدم أصابعه لعَدِّ مزايا الشخص الذي كان يبيعه:

"ناهيك عن حقيقة أنه لطيف ويشفي المرضى، أليس لهذا قيمة في رأيك؟ ماذا قلت؟ لا، فضلًا أخبِرْني بشهادتك كرجل أمين!".

"إذا كنت تظنُّ..." حاول "حنانيا" التدخُّل؛ إذ اشتعل غضبه الذي كان باردًا من أثر كلمات يهوذا الحارقة، لكن الآخر استمرَّ في مقاطعته بلا خجل:

"وحقيقة أنه شاب ووسيم- في بهاء زهرة الشَّارون، في رِقَّة زنبق الوديان؟ ألا ترى؟ ألا يساوي هذا شيئًا على الإطلاق؟ ربما ستقول إنه عجوز ولا يصلح من أجل أي شيء، وأن يهوذا يبيع لك ديكًا عجوزًا؟".

"إذا كنتَ تظنُّ..." حاول "حنانيا" أن يصرخ، لكن صوته العجوز كان يائسًا، مثل زغب في مهبِّ الريح، بين مقاطعات "يهوذا" وصوته المضطرب العال.

Scanned with CamScanner

"ثلاثون قطعة فضية! هذا حتى ليس ثمنًا عادلًا لقطرة واحدة من دمه! ولا لنصف قطرة من الدموع التي ستُسكَب عليه، ولا لربع تنهيدة من الآهات التي ستُطلَق من الحناجر لأجله! والصراخ! التشنُّجات! سيتوقَّف قلبه وتغمض عيناه للأبد! هل كل هذا مجاني؟" صرخ "الإسخريوطي"، وقد لفَّت كلماته الدَّوَّارة وحديثه الصارخ وحركات يديه وأصابعه رئيسَ الكهنة ودارت حوله حتى حاوطته بالكامل.

"الثلاثون دينارًا ثمنًا لكل ما قلت، لكل شيء!" كان الرجل يختنق بالفعل.

"وكم ستكسبون من وراء الصفقة؟ تريد أن تسرق "يهوذا"؟ أن تخطف قطعة الخبز من فم صغاره؟ لا، لا أستطيع، سأسير إلى السوق وهناك أبكي مأساتي، لقد سلب الكاهنُ حقَّ "يهوذا" المسكين. أنقِذني يا إلهي!".

وطأ الكاهن المرهق بحذائه عميقًا في الأرض ولوَّح بذراعيه في وجه "يهوذا".

"اخرج!".

لكن "يهوذا" انحنى فجأة وبسط يديه أمامه في طاعة:

"إن كنتَ رجُلًا طيبًا، لماذا تتشاجر مع "يهوذا" المسكين، الذي لا يبغي سوى الأفضل من أجل أطفاله؟ أليس لديك أبناء لتُشفِق عليهم كحالي؟".

"سنجد شخصًا آخر، سنجد شخصًا آخر... اخرُج!".

"لكن هل قلتُ أنا إنني لا أستطيع التفاوض؟ ولستُ أصدِّقُكَ، لا يمكن أن يأتي شخص آخر ويسلِّمك المسيح بسعرٍ أقلَّ، بخمس عشرة قطعة فضِّيَّة مَثَلًا؟ أو باثنتين؟ أو بواحدة؟".

Scanned with CamScanner

وافق "يهوذا" -بطاعةٍ- على المبلغ الذي عُرِض عليه، قَبِلَه وتسلّمه منحنيًا، لا يكفُّ لسانه عن إطراء المشتري. سلّمه الكاهنُ المالَ بيَدٍ مرتعشة جافة، ثم استدار عنه، يلوي شفتيه في صمتٍ، منتظرًا حتى ينتهي "يهوذا" من اختبار جميع العملات الفضية بأسنانه، وبين وقت لآخر كان ينظر إلى الوراء محترقًا من الغيظ، ثم يعود لإدارة رأسه ناظرًا نحو السقف بخفَّة، لاويًا شفتيه مرة أخرى في غضب أعظم.

بررَّر "يهوذا" فِعلَه المشين: "تنتشر العملات المزيفة في الأرجاء مؤخَّرًا".

"تلك أموالٌ تَبرَّع بها إلى المعبد رجالٌ أتقياء"، قال الكاهن وهو يلقي نظرة سريعة إلى "يهوذا"، عاد بعدها لوضعه المتجاهل، تاركًا "يهوذا" خلف رأسه الوردي الأصلع.

"لكن هل يعرف الرجال الأتقياء كيف يُميِّزون المُزيَّف عن الحقيقي؟ فقط المحتالون يمكنهم فعل ذلك".

لم يأخذ "يهوذا" الأموال التي تلقَّاها إلى وطنه، لكنه ذهب إلى المدينة وأخفاها تحت الصخرة. وعاد مرتحلًا إلى حيث أتى بهدوء وببطء وثِقلٍ يُميِّز خطواته، مثل حيوان جريح يزحف عائدًا إلى جُحرِه المُظلِم بعد معركةٍ شَرِسة مميتة. لكن لم يكن لدى "يهوذا" جُحرٌ خاص، بل كان هناك منزل، وفي ذلك المنزل حين وصل رأى المسيح. كان مُرهَقًا ونحيفًا ومُعذَّبًا بسبب صراعه الأبدي مع الفرِّيسيِّين، الذين حاوطوه في الهيكل بجدرانه البيضاء اللامعة. جلس المسيح وخدُّه مضغوط على الحائط الخَشِن، ويبدو أنه كان يغطُّ عميقًا في النوم. كانت ضوضاء المدينة المضطربة تتطاير إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة، وخلف الجدار كان "بطرس" يدقُّ بقدميه بعيدًا، بينما يُعِدُّ طاولة جديدة لوجبتهم، ويُغنِّي بصوت رخيم جليل ناعم.

Scanned with CamScanner

أما المسيح فكان نائمًا بهدوءٍ وعُمقِ وأمانِ شَخصٍ قد باعوه للتَّوِّ بثلاثين من الفضَّة.

تقدَّم "يهوذا" بصمت، برعاية أمٍّ خائفة من إيقاظ طفلها، بدهشة حيوانٍ قفز لتوِّه من عرينه، وفجأة سحرته زهرة بيضاء صغيرة، لمس شَعر المسيح بلُطفٍ من قبل أن يسحب يده بسرعة. لمسه مرة أخرى... ثم تسلَّل إلى الخارج بصمت.

"مُعلِّمي، إنه مُعلِّمي!".

وخرج إلى ذلك المكان غير قادرٍ على المكوث أمامه أكثر، بكى لفترة طويلة، وهو يتلوَّى، وينتحب، ويخدش صدره بأظافره ويضرب كتفيه. كان يداعب شَعر المسيح المُتخيَّل، يهمس بلُطفٍ بشيء رقيق ومُسلٍّ، ثم يصرُّ على أسنانه ألمًا. فجأة توقَّف عن البكاء والأنين وصرير أسنانه، وراح في تفكير عميق، ثم أدار وجهه المبلَّل إلى جانبه، وبدا كأنه وقف يستمع إلى وحيٍ ما. ظلَّ على حاله لفترة طويلة، ثقيلًا على الأرض، حازمًا، غريبًا عن الجميع، وكأنه القدر نفسه.

أحاط "يهوذا" بالمسيح المشؤوم بمحبَّةٍ لطيفة واهتمام وحنان مُبالَغٍ فيه في هذه الأيام الأخيرة من حياته القصيرة. كان خجولًا للغاية، مثل فتاة إبَّان حُبِّها الأول، حسَّاسة للغاية ومُدرِكة لأصغر تفصيل- خمَّنَ أصغر رغبات المسيح غير المُعلَنة قبل أن يتمنَّاها، وتوغَّل في أعماق أحاسيسه، ولمس ومضات حُزنه العابرة، ولحظات تعبه الثقيل. وحيثما وطأت قدمُ المسيح، توغَّلَت في شيء ناعمٍ أعدَّه "يهوذا" لمسيره، وحيثما تلفَّت بصره، وجده قد أعدَّ له شيئًا لطيفًا. قبل الصفقة لم يكن "يهوذا" يرتاح لـ "مريم المجدلية" وأيٍّ من النساء الأخريات اللواتي دخلن في زُمرة تلاميذ المسيح، واعتاد أن يلقي نِكاتٍ فظَّةً عنهنَّ، وأن يتسبَّب لَهُنَّ في بعض المشاكل- أمَّا الآن فأصبح صديقَهنَّ، حليفًا ورفيقًا مُسلِّيًا. تحدَّث إليهن باهتمام عميق عن عادات المسيح

Scanned with CamScanner

الصغيرة والرائعة، واستمرَّ في استجوابهن لساعات طويلة عن العادات الأخرى التي لا يعرفها، ووضع المال سرًّا في أيديهنَّ، وجلب العنبر والمُرَّ العِطريَّ الباهظ إلى راحات أيديهنَّ- ووصَّاهن أن يدهنوا به قدَمَ المسيح جلبًا لسعادته. حتى إنه اشترى بعض النبيذ غالي الثمن ليمنحه للمسيح، وكان منزعجًا جدًّا عندما شرب "بطرس" القنِّينة كلها تقريبًا بلا مبالاةٍ، مُعتَقِدًا أنه رجُلٌ مُبذِّر مُسرِف. وفي القدس الصخرية، الخالية تقريبًا من الأشجار والزهور والمساحات الخضراء، تمكَّن بطريقة ما من العثور على زهور الربيع والأعشاب الخضراء الصغيرة، وأرسلها إلى المسيح ليُرطِّب جوَّ غرفته.

لأول مرة في حياته حمل أطفالًا صغارًا بيديه، بحث عنهم في الساحات أو في الشوارع، وقد أجبر نفسه على تقبيلهم لمنعهم من البكاء، حتى إنه كان يترك تلك القطط الصغيرة السوداء ذات الشَّعر المُجعَّد والأنف الصغير المتَّسِخ، لتزحف على رُكبَتَيْ المسيح الحكيم، باحِثةً بإلحاح عن المداعبات. وبينما تركه يمرح في صحبة الحيوانات اللطيفة، كان "يهوذا" يسير في مكان قريب، مثل سجَّانٍ شديدٍ سمح لنفسه بإدخال فَراشة لسجين في الربيع ووقف يتظاهر بالتَّذمُّر، ويشكو من الفوضى.

في المساء، عندما لاح القلق بينما يقف الظلام حارسًا على النوافذ، قاد "الإسخريوطي" الحديثَ بمهارة حول مدينة الجليل، الغريبة عنه والعزيزة جدًّا على المسيح، وبحرِها ذي المياه اللطيفة، وشواطئه الخضراء. أمَّا "بطرس" فقد جلس يحفِّز ذكرياته الجافة على الاستيقاظ حتى يحكي عنها، في صورٍ حَيَّة، حيث صار كل شيء مُلوَّنًا وغنيًّا، حتى إن حياة الجليل لَتُبنَى أمام أعيُن المرء السَّامِع.

بشديد اهتمام، وفم مفتوح مثل فم طفل، يضحك لِلمَزحَة في وقتٍ أبكرَ مِمَّا يجب، استمع المسيح إلى حديثه المتقطِّع، الرَّنَّان،

Scanned with CamScanner

والمبهج، وقد ضحك كثيراً من نِكاته، لدرجة أنه كان على "بطرس" أن يوقِفَ الحكاية لبضع دقائق حتى يتوقَّف المسيح عن الضحك. لكن "يوحنا" كان أفضلَ في سَرْدِ القصص من "بطرس". صحيح أنه لم يكن لديه أيُّ شيءٍ مُسلٍّ أو غير مُتوَقَّع، ولكن كان دارِسًا لكلِّ ما يُرضي شهيَّة المسيح الضاحكة، كان حَكْيُه جميلًا وفوق العادي، حتى إن الدموع ظهرت في عينَيْ المسيح، وتنهَّد بهدوء، ودفع "يهوذا" "مريم المجدليَّة"، هامسًا بَهيجًا:

"أوه، هل تسمعين كيف يروي حكاياته؟".

"بالطبع أسمع".

"لا. عليكِ أن تستمعي بصورةٍ أفضل، أنتم أيُّها النساء لا تستمعون جيِّدًا أبدًا".

بعد ذلك ذهب الجميع إلى الفراش بهدوء، وقبَّل المسيح "يوحنَّا" بلُطفٍ، بامتنانٍ، ومسح على كتف "بطرس" الطويل بحنان.

كان "يهوذا" يراقب هذه الامتنانات بلا حسدٍ، بل بازدراءٍ مُتعالٍ. ما معنى كل هذه الحكايات، كل هذه القبلات والحمد المزيد مُقارَنةً بما يعرفه هو "يهوذا الإسخريوطي"، "يهوذا" الشَّنيع ذو الشَّعر الأحمر، المولود بين الصخور!

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل السادس

بِيَدٍ، خان "يهوذا" المسيح، وبِيَدِه الأخرى سعى حثيثًا لإفساد خُطَطه. لم يحاول ثني المسيح عن رحلته الأخيرة الخطيرة إلى أورشليم، كما فعَلَت النساء بين عشيرته، بل إنه كان يميل إلى الوقوف بجانب أقارب المسيح وتلاميذه الذين اعتقدوا أن الوصول إلى أورشليم ضروري للغاية لنجاح مشروعهم. لكنه حذَّر بإصرار وإلحاح من الخطر، ورسم أمامهم صورة واضحة مُلوَّنة بكلماته عن كراهية الفرِّيسيِّين الرهيبة للمسيح، واستعدادهم للجريمة وقتل نبي الجليل سِرًّا أو علانية. كان يتحدث عن هذا كل يوم وكل ساعة، ولم يكن هناك واحد بين الجوقة المؤمنة لم يَمُرَّ عليه "يهوذا" ويقف أمامه، رافعًا إصبعه، متحدِّثًا بنبرة صارمة مُحذِّرة:

"يجب أن نحفظ أمان المسيح، يجب أن نحمي المسيح، علينا أن ندافع عنه عندما يحين الوقت!".

ولكن... وفي أثر الإيمان اللا محدود لتلاميذ المسيح في القوة المعجزة لمعلّمهم، أو إيمانهم بصلاح قضيتهم، أو ببساطة، لعيونهم العمياء عن الحقيقة آنذاك، قوبِلَت كلمات "يهوذا" المخيفة بابتسامات، وأثارت نصائحه اللا متناهية كل تذمُّر. تفاقَمَت الحكاية عندما تمكَّن "يهوذا" من الحصول على سيفين لتسليحهم، كان "بطرس" هو الوحيد الذي مدح فكرة السيوف وأظهر تقديره، بينما علَّق الآخرون باستياء:

"هل نحن مُحارِبون نحتاج أن نتمنطق بالسيوف؟ أليس المسيح نبيًا بل أمير حرب؟".

"ولكن ماذا لو قرّروا قتله؟".

"لن يجرؤوا عندما يرون أن كل الناس معه".

"وإذا تجرّؤوا؟ ماذا سنفعل حينها؟".

حينها ردَّ "يوحنّا" بازدراء:

"مَن يراك يظنُّ أنّكَ وحدك مَن يحبُّ المعلّم".

أدرك "يهوذا" منبع حقد "يوحنا" في كلماته؛ فبدأ باستجوابه بخِفّةٍ وحماس ومثابرة شديدة، دون أن يتقصّد الإساءة إليه.

"أما أنتَ فتحبُّه وحدك بالطبع، أليس كذلك؟".

لم يترك "يهوذا" مؤمنًا بين العشيرة إلا وزاره وسأله ذات السؤال:

"هل تحب المسيح؟ هل تحبُّه كثيرًا؟".

وكان "توما" أغلبَ مَن كان يوجِّه إليه حديثه مؤخّرًا، رافعًا إصبعه المثابِرة، الجافّة طويلة الظُّفر، القَذِرة، مانحًا إيّاه تحذيرًا غامِضًا:

"إنه وقتٌ عصيب يقترب يا "توما". هل أنت مُستعدٌّ له؟ لماذا لم تأخذ السيف الذي أحضرته؟".

منحه "توما" حينها إجابةً حكيمة:

Scanned with CamScanner

"نحـن أنـاسٌ غـير معتاديـن عـلى التعامـل مـع الأسـلحة. وإذا دخلنـا في معركـة مـع الجنـود الرومـان، فسـيقتلوننا جميعًـا. عـلاوة عـلى ذلـك، لقـد أحـضرت سـيفين فقـط- مـا الـذي يمكـن عملـه بسـيفين في مواجهـة الجيـش؟".

اعـترض "يهـوذا" بصـبر فـارغ، "يمكننـي الحصـول عـلى المزيـد، يمكننـا أن نتدبَّـر ذلـك مـن بعـض الجنـود".

ابتسم "توما" ذو الوجه الجاد من بين شفتيه وشاربه المتدلِّي.

"آه "يهـوذا"، مـن أيـن حصلـتَ في الأصـل عـلى السَّـيفَيْن، إنهـما يشـبهان سـيوف الجنـود الرومان".

"لقـد سرقتهـما، كان باسـتطاعتي أن أسرق المزيـد، لكنهـم بـدؤوا بالـصراخ فيَّ فهربـتُ!".

فكَّر "توما" في اعتراف "يهوذا"، ثم قال بحزن:

"مرَّةً أخرى تلبَّسَتكَ الخطيئة يا "يهوذا"، لماذا سرقتَ؟".

"لا يوجـد مـا يُسـمَّى بالممتلـكات، هـي أشـياء متاحـة؛ فلِـمَ لا نحصـل عليهـا؟!".

"نعـم، لكنهـم سيسـألون الجنـود غـدًا: وأيـن سـيوفكم؟ وحـين لـن يعـثروا عليهـا سـيعاقب المذنبـين بفقدانهـا".

بعـد مـوت المسـيح، اسـترجع التلاميـذُ هـذه المحادثـات مـع يهـوذا، وخَلَصوا إلى أنـه كان يتمنَّـى أن يهلكـوا مـع مُعلِّمهـم عـبر تحريضهـم عـلى الدخـول في معركـة مميتـة غـير متكافئـة. وحينهـا لعنـوا الاسـمَ المقيـت لـ "يهـوذا الإسـخريوطي" الخائـن...

وبعـد كل محادثـة مـن هـذا القبيـل، كان "يهـوذا" يذهـب لمقابلـة النسـاء مـن العشـير، كُـنَّ يسـتمعن لـه عـن طيـب خاطـر، حيـث تلـك اللمسـة اللطيفـة -الأقـرب لطبـع الإنـاث- التـي تَمَيَّـز بهـا في حُبِّـه للمسـيح

Scanned with CamScanner

جعلته أقرب إليهما، وجعلته يبدو بسيطًا في عيونهنَّ، وقريبًا، وحتى جميلًا، على الرغم من أنه -فيما مضى- قد أظهر قدرًا مُعيَّنًا من الازدراء في تفاعُلِه مَعهنَّ.

"هل هم بَشَرٌ من لحم ودم؟" اشتكى بمرارة من التلاميذ، مُصوِّبًا بثقةٍ عَينَه العمياء الجامدة إلى "مريم". "إنهم ليسوا بشرًا حقًّا! ليس لديهم دماء في عروقهم".

"ولكنَّكَ اعتَدتَ التحدُّثَ عن الناس بالسوء، ربما هذا نتاج ما فعلتَ معهم قبلًا!" اعترضت "مريم".

ردَّ "يهوذا" بدهشة: "نعم، لقد فعلتُ، لكن ألا يمكنهم أن يتغيَّروا قليلًا إلى الأفضل؟ آه، يا "مريم"، يا "مريم" الغبيَّة، لماذا لستِ رجلًا يمكنه أن يحمل سيفًا؟".

ابتسَمَت "مريم": "إنها ثقيلة جدًّا، لا أظنُّني أستطيع رفعها".

"سوف تُجبَرين على رفعها، حين يتَّضِح أن الرجال سيئون بما يكفي ليعدموا القدرة على الحرب. هل أعطيتِ المسيح الزَّنبق الذي وجدته اليوم في الجبال؟ استيقظت في الصباح الباكر لأقطفها له، وكانت الشمس جميلة جدًّا اليوم يا "مريم"! هل كان سعيدًا؟ هل ابتسم؟".

"نعم، كان سعيدًا. قال إن الزهرة تفوح منها رائحة الجليل".

"وطبعًا لم تخبريه أن "يهوذا الإسخريوطي" هو مَن وجدها له؟".

"لقد طلبتَ منِّي ألَّا أخبره".

"لا، لا حاجة، بالطبع، لا حاجة"، تنهَّد "يهوذا". "ولكنِّي خفتُ أن تثرثري كثيرًا فيفتضح السِّرُّ، لكنَّكِ لم تفعلي، أليس كذلك؟ كنتِ حازمةً؟ حسنًا يا "مريم"، أعلم أنك امرأة جيدة، ربما تعلمين أنني لديَّ زوجة في مكان ما، لكم أودُّ أن أقابلها الآن، ربما لم تكن امرأةً سيِّئةً على كل حال، لا أعرف، اعتادت أن تصرخ قائلة: "يهوذا كاذب،

Scanned with CamScanner

يهوذا سمعان رجلٌ شرِّير"؛ لذلك تركتُها، لكن مَن يعرف، ربما هي امرأة جيدة، ما رأيك؟".

"كيف لي أن أعرف وأنا لم أرها من قبل في حياتي؟".

"حسنًا يا "مريم"، وما رأيك إذن في ثلاثين قطعة فضِّيَّة- هل تظنِّينه مبلغًا كبيرًا أم تافِهًا؟".

"أعتقد أنه مبلغ صغير".

"طبعًا طبعًا. وكم جَنيتِ من المال عندما كنتِ عاهرةً؟ خمس قطع فضية أم عشرًا؟ هل كنتِ تتقاضين ثمنًا باهظًا لخدماتك؟".

احمرَّ وجه "مريم المجدلية" وخفَّضَت رأسها حتى غطَّى شعرُها الذهبي الغنيُّ وجهها بالكامل، ولم يَبقَ ظاهرًا منه سوى ذقنها المستدير البيضاء.

"أنتَ قاسٍ جدًّا يا "يهوذا"! هذا أمرٌ أريد أن أتناساه، وها أنتَ تطرحُه قسرًا على ذاكرتي!".

"لا يا "مريم"، عليكِ ألَّا تحاولي نسيانه، لماذا تفعلين؟ هذا شيء على الآخرين أن ينسوه عنكِ، أمَّا أنتِ؟ فلماذا تنسينه؟ بأيِّ دافِعٍ؟".

"لأنه خطيئة".

"هؤلاء فقط الذين لم يرتكبوا المعاصي قَطُّ، هم فقط مَن عليهم أن يخافوا. ولكن مَن أخطأ- فما الذي عليه أن يخشاه بعد وقوعه في الخطيئة، هل الميِّتُ هو مَن يخشى الموت أم الحيُّ؟ الميِّت يضحك على الأحياء وعلى خوفهم من الموت".

وهكذا جلسوا يتحدَّثون بودٍّ ظاهر لساعات متتالية- كان "يهوذا" عجوزًا، جافًّا، بَشِعَ الوجه برأسه الوعر ووجهه المنقسم بين ملامحه المختلفة على ناحيتَيْه، بينما تجلس هي- شابَّةً، يَملؤها الحياء، لطيفة، مفتونة بالحياة كما لو كانت حكاية خرافية أو حلمًا.

Scanned with CamScanner

لكن الوقت ظلَّ يتسارع باتجاه المصير المحتوم، والثلاثون الفضِّيَّة تقبع في مكانها حيث حلَّت تحت الصخرة، اقترب يوم الخيانة الرهيب. كان المسيح قد دخل "أورشليم" على ظهر حمار، بسط القومُ ثيابهم في طريقه ليسير عليها، واستقبله الناس بصرخاتٍ تحتفي.

"أوصِنا! أوصِنا! مُبارك الآتي باسم الرَّبِّ".

كان ابتهاجهم عظيمًا جدًّا، وحبهم له الذي وصل إليه بَيِّنًا عبر صرخاتهم، حبٌّ يتجدَّد لحظيًّا، حتى إن المسيح قد بكى، وتبادل تلاميذه التزكية بفخر:

"ألسنا أبناء الله في حضرة عزيزه الآن؟".

"أوصِنا! أَوْصِنا! طوبى لمن يأتي باسم الرَّبِّ".

في ذلك المساء، جافاهم النوم، مُتذكِّرين استقبال القوم والانتصار العظيم، كان "بطرس" كالمجنون، بدا كشخصٍ يتملَّكه شيطانُ الفرح والفخر. أغرقَت صيحاته المكان وغطَّت على حديث الآخرين، وبَدَت صرخاته الفَرِحَة كزئير الأسود. ضحك، وألقى ضحكاته العالية فوق رؤوس الحاضرين كالحجارة الضخمة التي كان يلقيها حين سباق، بسهولة واحتفال. قبَّل "يوحنا"، وقبَّل "يعقوب"، وحتى إنه قبَّل "يهوذا". واعترف بصوتٍ عالٍ أنه كان خائفًا جدًّا على المسيح، لكنه الآن لم يَعُد خائفًا من أي شيء لأنه رأى حُبَّ الناس الغامر له. نظر "الإسخريوطي" حوله متفاجئًا بعينه الثاقبة المتحرِّكة. وقف متأمِّلًا المشهد، مستمعًا مراقبًا، ثم سحب "توما" جانبًا، وكأنه يُسَمِّره على الحائط بنظرته الحادَّة، ثم سأله في حيرة وخوف وأملٍ بدا في تلك اللحظة ضبابيًّا:

""توما"، ماذا لو كان المسيح على حَقٍّ؟ ماذا لو كانت الصخور الثابتة تحت قدميه، وليس تحتي أنا سوى الرمال؟ ماذا سيحدث حينها؟".

Scanned with CamScanner

"عمَّ تتحدَّث؟" استفسر "توما".

"ماذا سيتبقَّى حينها لـ "يهوذا الإسخريوطي"؟ مَن سأضطرُّ لخنقه لأَصِلَ إلى الحقيقة؟ مَن يخدع "يهوذا"؟ أنتَ أم "يهوذا" هو مَن يخدع نفسه؟ مَن ذاك الذي...".

"أنا لا أفهمكَ يا "يهوذا". أنتَ تتحدَّث بشكل غير مفهوم. (مَن يخدع يهوذا؟ مَن على حق؟)".

أومأ "يهوذا" برأسه مُكرِّرًا مثل صدى:

"مَن يخدع يهوذا؟ مَن على حق؟".

وفي اليوم التالي، عاوَد "يهوذا" أسئلته، رافعًا إبهامه مُذكِّرًا "توما" بحديثهم، كلَّما نظر إليه "توما" وجد السؤال الغريب يطلُّ من عينيه:

"مَن يخدع "يهوذا"؟ مَن على حقٍّ؟".

حتى إن اندهاشًا أعظم أصاب "توما"، مختلطًا بقلقٍ عظيم عندما سمع ليلًا صوت "يهوذا" المرتفع، بنبرةٍ بَدَت له مبتهجةً:

"حينئذٍ لن يكون هناك "يهوذا الإسخريوطي"، وربما لن يكون هناك حقًّا ما يُسمَّى المسيح، وبعدها ... "توما"، يا "توما" الغبي! هل شعرتَ يومًا برغبة في أن تمسك بالأرض وترفعها؟ ثم تلقيها بعد ذلك بأبعد ما يمكن أن تصل إليه قذيفتُكَ؟".

"هذا أمرٌ مستحيل. ماذا تقول يا "يهوذا"؟".

"لا، بل هو مُمكِن". قال "يهوذا" باقتناع. "وسوف نرفعها يومًا ما، وستكون أنتَ حينها نائمًا يا "توما" الغبي. نَمْ! أنا سعيدٌ يا "توما"! عندما تنام، يَصدُر عنك صوتٌ وكأنَّ غليونًا يلعب في أنفك، نَمْ!".

بعد أن اطمأنَّت العشيرة لانتشار المؤمنين في أنحاء أورشليم، فجأة صاروا يختبئون في بيوتهم خلف الجدران، فصارت وجوه المارَّة غيرَ

Scanned with CamScanner

مألوفة. انطفأ الابتهاج. وزحفت شائعات ضبابية عن الخطر القادم؛ فقرَّر "بطرس" الذي عذَّبه التفكيرُ اختبارَ السيف الذي منحه إيَّاه "يهوذا". صار وجه المعلِّم يزداد حزنًا وصَرامَةً. مرَّ الوقت بسرعة، وكان يوم الخيانة الرهيب يقترب بلا هوادة. ثم حان وقت العشاء الأخير، وسط الجوِّ المشحون حتى حافَّته بالحزن والخوف الضبابي، وأخبر المسيح بكلماتٍ مُقتَضَبة غامضة عن خيانة متوقَّعة.

"هل تعرف مَن سيخون المُعلِّم؟" سأل "توما" "يهوذا" بينما يحدِّق فيه بعينيه الصريحتين الشَّفَّافتين.

أجاب يهوذا صارمًا وحاسمًا: "نعم، أعرف". "أنتَ يا "توما" مَن سيخونه. لكنه هو نفسه لا يؤمن بما يقول! حان الوقت! حان الوقت بالفعل! لماذا إذن لا يستدعي "يهوذا" القويَّ الجميلَ لمشاوَرَتِه؟".

الآن... لم يَعُد الوقت الذي لا يرحم يُقاس بسرعة الأيام، وإنما يمرُّ سريعًا وكأنه مجرَّد سويعات. فجأة يحلُّ المساء، ويسود صمت المساء، وتمتدُّ الظِّلال طويلة على الأرض- وكانت أول السهام الحادَّة الآتية من صوب المعركة، عندما انطلق ليلتها صوتٌ حزين صارم قائلًا:

"هل تعلم إلى أين أنا ذاهب يا سيدي؟ سأخونك لأسلِّمَكَ إلى أيدي أعدائكَ".

وكان صمتٌ طويل، صمتُ المساء، وظِلالُه السوداء الحادَّة.

"ها أنتَ صامتٌ يا سيدي. هل تأمرني إذن بالذهاب؟".

مرَّةً أخرى... لا شيء سوى صَمتٍ.

"اجعلني أبقَ. لكنَّكَ لا تستطيع، أليس كذلك؟ أم لا تجرؤ؟".

مرَّةً أخرى... صمتٌ هائل ثابتٌ لا يَفنى.

"لكنَّكَ تعلم أنني أحبُّكَ. أنتَ تعرف كل شيء. لماذا تنظر هكذا إلى "يهوذا"؟ عظيمٌ هو لغز عينيك الجميلتين، لكن هل عيناي أنا

Scanned with CamScanner

أقلُّ غموضًا؟ مُرْني بالبقاء!... لكنَّكِ صامت، ما زِلتَ صامتًا؟ سيدي، سيدي، ألهذا السبب مُنِّيتُ من الإله بالكرب والعذاب طوال حياتي، لقد سعيتُ إليه ووجدته! حَرِّرني الآن. ارفع العبء عنِّي فهو أثقل من الجبال والرصاص. ألا تسمع صوت صدر "يهوذا الإسخريوطي" يتكسَّر تحت ضلوعه؟".

ثم الصمت الأخير، ذاك الذي بلا نهاية، كالنظرة الأخيرة قبل مصير الخالدين.

"أنا ذاهبٌ".

لم يستيقظ الصمت الطويل أو يعبأ بما يحدث، لم يصرخ ولم يبكِ، ولم يهتزَّ طيفه الرقيق- كان الضجيج الذي أحدثته خطواتُ انطلاق "يهوذا" بلا أثر تقريبًا. عَلَت ثم صمَتَت فجأة، فقد الصمت طريقه عبر ظِلال المساء الطويلة، حتى إنها ازدادت من أثره قَتامَةً- وفجأة، أرسل تنهيدة حزينة أخيرة، تمازَجَت مع حفيف الأوراق التي فقَدَت هي الأخرى طريقها في الهواء، تنَهَّد المساء هو الآخر، ثم عاد إلى حالته الأولى- ساكنًا.

على مسافة لحظات، عَلَت في الجو أصواتٌ مُتعدِّدة، تهتزُّ وتضرب وتدقُّ- كما لو أن شخصًا عابرًا أسقط كيسًا كبيرًا فانفكَّ وانبثَقَت منه جلبة، صخبٌ ورنينُ صياحٍ، في البداية علا صوت واحد، ثم تَبِعه صوتان آخران، ثم علا في النهار صوتُ الجميع. كان التلاميذ يتحدَّثون.

يرتفع فوقهم، كما لو مُحطِّمًا الأشجار وهادمًا الجدران، كان صوت "بطرس" الحازم الذي أعلن بكل الأيمان أنه لن يتخلَّى عن مُعلِّمه أبدًا.

"معلِّمي، أنا مستعدٌّ تمامًا لكل تضحية في سبيلك، السجن أو الموت، سيان" قال "بطرس" بغضب.

Scanned with CamScanner

بهـدوء، كمثـل الصَّـدى الناعـم لخطـوات شـخص مغـادر، ارتفـع ردٌّ لا يحمـل في طيَّاتـه الرحمـة:

"دعنـي أخـبرك يـا "بطـرس"، بأنَّـكَ، وفي هـذه الليلـة، وقبـل أن يصيح الطـير مُعلِنًـا فجـر اليـوم، سـوف تتنكَّـر لي مـرَّاتٍ ثلاثًـا!".

Scanned with CamScanner

الفصل السابع

كان الفجر قد بزغ بالفعل عندما استعدَّ المسيح للانطلاق في اتجاه جبل الزيتون، حيث أمضى أيامه الأخيرة. ولكنه، لسببٍ غير معروف، تباطأ في الرحيل فعليًا، وظلَّ تلاميذه، الذين كانوا على استعدادٍ للمغادَرة؛ يحفِّزونه للرحيل، كان ذلك حتى قرَّر التحدُّث إليهم فجأة قائلًا:

"أولئك الذين يملكون حقائب بالمكان، ليحملوها معهم، وإن كان لديكم بعض المال فأحضِروه أيضًا، وهؤلاء الذين لا يملكون سيفًا، بِعْ عباءتَكَ واشتَرِ واحدًا، فها أنا أخبركم عن تأكيد، أنه ما هو مكتوب سيحلُّ أمره فيَّ... "وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ"".[1]

تفاجأ التلاميذ ونظروا إلى بعضهم البعض في حيرة. أجاب "بطرس": "معلِّمي، لدينا سيفان هنا".

إنجيل مرقس (28:15).

نظر المسيح في وجوههم الطيبة، وحنى رأسه، ثم قال بهدوء: "هذا يكفي".

دَوَّتْ خطواتهم بصوتٍ رنَّانٍ في الأزِقَّة الضيقة، صوت أخاف التابعين أنفسهم من وقع خطواتهم، ومن ظلالهم التي استمرَّت في النُّموِّ طويلة على جدار أبيض انعكس عليه ضوء القمر. وهكذا ساروا في صمت عبر القُدس النائمة، حتى وصلوا الآن خارج بوابات المدينة، وفي وادٍ عميق، مليء بظِلالٍ غامضة، ظهر لهم نهر "قدرون"[1]، الآن صار كل شيء مخيفًا. بَدَت الهمهمة الناعمة ورذاذ الماء على الصخور وكأنها أصوات رجال يتسلَّلون عليها، كانت الظِّلال القبيحة للصخور والأشجار التي أُلقِيَت عبر الطريق تُذكِّرهم بشَعَثهم وظِلالهم المتنافرة. لكن كلما تسلَّقوا الجبل أكثر، وكلَّما اقتربوا من حديقة جثسيماني، زادت شجاعتهم؛ إذ كانوا قد قضوا بالفعل بضع ليالٍ في أمانٍ وسلامٍ. من وقتٍ لآخر، بينما كانوا ينظرون إلى القدس التي تركوها خلفهم، تقف شامخة بيضاء تحت القمر، سرى بينهم الحديثُ حول مخاوفهم السابقة، بينما استطاع الذين ساروا في الخلف الاستماعَ إلى كلمات المسيح مختلفة المحتوى، تحدَّث فيها عن كل من هجروه سابقًا.

توقَّفوا عند حافة الحديقة. بقي جزء كبير منهم في مكانه، وبدؤوا تبادُل الحديث بصوت منخفض استعدادًا للنوم، وقد مدُّوا عباءاتهم على الأشجار ما بين الظلال وضوء القمر. لكن المسيح، الذي يأكله القلق، ذهب عميقًا إلى داخل الحديقة برفقة أربعة من أقرب تلاميذه. جلسوا هناك على الأرض، التي لم تبرد بعدُ من حرارة النهار، وبينما ظَلَّ المسيح صامتًا، تبادل "بطرس" و"يوحنا" بتكاسُلٍ بعضَ الكلمات، كلمات لم تحمل في طيِّها أي معنى تقريبًا.

---

(1) مجرى مائي ينساب في فصل الشتاء ويجفُّ في باقي السَّنة، ووادي قدرون يقع بين أورشليم وجبل الزيتون.

تثاءبوا من التعب، تحدَّثوا عن برودة الليل، وعن ارتفاع أسعار اللحوم في القدس، والأسماك التي من المستحيل تقريبًا الحصول على بعضها. حتى إنهم حاولوا تحديد العدد الدقيق للحُجَّاج الذين أتوا إلى المدينة لقضاء العطلة، وقال "بطرس" -وهو يُمدِّد كلماته بصوتٍ عالٍ إثر تثاؤبه- إنهم عشرين ألفًا كما يُقدَّر، وأكَّد له "يوحنا" -بتأكيدٍ من شقيقه "يعقوب"، وبذات النبرة الكسولة- أنَّهم أبدًا لم يزيدوا عن عشرة آلاف. فجأة قام المسيح متعجِّلًا.

"روحي يغمرها الحزن حتى حدود الموت، ابقوا هنا وراقبوا المكان" قال لهم، وخطا سريعًا منسحبًا إلى الغابة، وسرعان ما اختفى ما بين سكون الظِّلال والضوء الخافت للفجر...

"إلى أين هو ذاهب؟" قال ""يوحنا" بينما يحاول الاعتدال مستندًا على مرفقه. أدار "بطرس" رأسه نحو الراحل وأجاب بضجر:

"لا أدري، ليس لديَّ فكرة".

أخذ تثاؤبًا ثقيلًا آخر، استدار موليًا صديقه ظهره وصمت. كما صمت الآخرون، وأحيط بأجسادهم الجامدة النوم العميق في أثر الإرهاق. عبر نعاسه الشديد، استطاع "بطرس" أن يرى شيئًا مريبًا، رأى كيانًا غامضًا أبيض اللون يتَّكئ على جسده، ثم سمع صوت أحدهم وتلاشى بعدها كيفما ظهر، دون أن يترك أثرًا يستبينه في وعيه المضطرب.

""سيمون"، هل أنت نائم؟".

ثم مرَّةً أخرى انسحب عميقًا نحو السُّبات، ومرَّةً أخرى لمس أذنيه ذات الصوت اللطيف، الذي سرعان ما أعاد الكَرَّة وتلاشى، وكالعادة... بلا أثرٍ.

"ألا يمكنك أن تراقبني بينما أنا نائم لساعة واحدة؟".

Scanned with CamScanner

"يـا إلهـي، فقـط لـو كنـت تعـرف قـدر رغبتـي في النـوم مـا كنـتَ لتسـألني ذاك"، فكَّـر في أن تلـك ربمـا أضغـاث أحـلام، لكـن كان متأكِّـدًا أن الصـوت الـذي سـمع قـد تحـدَّث إليـه بصـوتٍ عـالٍ. عـاد لـيروح في النـوم، وبـدا أن الكثـير مـن الوقـت قـد مـضى، عندمـا اقتربـت منـه فجـأة صـورة المسـيح، وأيقظـه صـوت عـالٍ في الحـال هـو والآخريـن:

"هـل مـا زلتـم في سُـباتكم الطويـل، ترتاحـون إلى الرقـاد؟ كفـى! لقـد حانـت السـاعة، هـا هـو ابـن الإنسـان يُسَـلَّم إلى يـد الخُطـاة".

هـبَّ التلاميـذ واقفـين، التقطـوا عباءاتهـم في ارتبـاكٍ مُرتَجِفـين مـن بـرد الاسـتيقاظ المفاجـئ. عـبر الغابـة، التـي صـارت مُنـيرةً مـن أثـر المشـاعل، مـع أصـوات همهمـة وضوضـاء، قعقعـة أسـلحة وسـحق للأغصـان تحـت الأقـدام، كان حشـد مـن الجنـود وخَـدَمِ المعبـد يقـترب. صـار التلاميـذ يركضـون ووجوههـم ناعسـة مـا تـزال، بـلا فهـم حقيقـي لمـا يجـري حولهـم، متهامسـين عـلى عَجَـل:

"ما هذا؟ ومَن هم هؤلاء الرجال مع المشاعل؟".

قـال "تومـا" مُوجِّهًـا حديثـه لـ "بطـرس"، شـاحبًا، بتنهيـدة خرجـت مـن أسـفل شـاربه المسـتقيم إلى الجانـب وقـد اصطكَّـت أسـنانه:

"يبدو أنهم جاؤوا من أجلنا".

حاصرهـم حشـدٌ مـن الجنـود، وقـد طـارد وَهَـجُ المشـاعل ودخانهـا المُنـذِر بالخطـر الأشـعَّةَ الناعمـة الآتيـة مـن اتجـاه القمـر. عـلى رأس الجنـود، كان "يهـوذا الإسـخريوطي" يشـقُّ طريقـه عـلى عَجَـل، وقـد دارت عينـه غـير العميـاء في حدقتـه بحـدَّة؛ بحثًـا عـن المسـيح.

وجـده، وللحظـة ثبَّـت نظـره عـلى جسـده الرفيـع طويـل القامـة، ثـم همـس سريعًـا للكهنـة:

"هذا هو بغيتكم، هذا هناك. قودوه برفقٍ، كونوا لطفاء، هل تسمعون؟".

Scanned with CamScanner

ثم اقترب بسرعة من المسيح، الذي بدا كأنه واقفٌ في انتظاره، صامتًا، ثم... ومثل سكّين، ألقى بنظرته الثابتة الحادّة نحو عيون الآخرين الهادئة المظلمة.

"ابتَهِجْ سيّدي الحاخام!" قال بصوتٍ عالٍ، مانحًا كلمات التحية العادية معنى غريبًا ومخيفًا.

لكن المسيح كان صامتًا، بينما نظر التلاميذ بفزع إلى الخائن، غير قادرين على فهم كيف يمكن لروح الإنسان أن تحوز هذا القدر العظيم من الشّرّ. مسح "الإسخريوطي" بعينه بسرعة صفوفهم المشوّشة، ورأى الارتعاش الطفيف في أجسادهم، الذي كان يقترب من التحوُّل لهزّةٍ عنيفة من الخوف، ورأى وجوهًا شاحبة، وابتسامات لا معنى لها، وأذرعة تتحرّك ببطء، كما لو كانت سواعدهم مشدودةً بالحديد- وبالأخير شعر في داخله حزنًا مميتًا. اشتعلت الحسرة في قلبه، تمامًا كذلك الذي اختبره المسيح قبل قليل من ذات الليلة. تحوّلت روحه إلى مائة وتَرٍ ناحَتْ بصوتٍ عالٍ، انطلق بسرعة نحو المسيح وقبّل برفقٍ خدّه البارد. بلُطفٍ أثير، بحُنوٍّ شديد، بلمحات رقيقة خافتة ما بين الحب والكرب، بألم يتحسّس موضعه منه كما لو كان المسيح زهرةً فوق ساق رفيعة، لم تكن حركته فوق وجنته لتهزّ الزهرة، أو لتسقط الندى الذي تلألأ فوق بتلاتها النقية.

قال المسيح: ""يهوذا"!"، أضاء حينها بالبرق الصادر عن عينيه تلك الكُتلةَ البَشِعَة من الظّلال المتوترة التي تجسّدَت في روح "الإسخريوطي"، لكن بصره الثاقب -وعلى الرغم- لم يستطع اختراق روحه الأشبه بهاوية بلا نهاية. ""يهوذا"! هل بقُبلةٍ تخون ابن آدم؟".

ارتجَفَت الفوضى في كيان "يهوذا"، لكن "الإسخريوطي" وقف صامتًا وصارمًا، كما الموت في جلاله الرهيب، ساكنًا وإنما بداخله يصرخ كل شيء ويعوي بألف صوتٍ عنيف، ونارٍ جامحة في أضلاعه.

Scanned with CamScanner

"نعم! بقُبلةِ حُبٍّ نخونُكَ. بقبلة حُبٍّ نُسلِمُكَ إلى الإساءة، للتعذيب حتى الموت! بصوت الحب نستدعي الجلَّادين من جحورهم المظلمة، ونضعك عاليًا فوق صليب- ونرفع الحب المصلوب بالحب مرتفعًا فوق إكليل الأرض".

هكذا وقف يهوذا يُردِّد خطبته ساكنًا وباردًا مثل الموت، مجيبًا على الصراخ والصياح الذي انتشر من حولهم. بالقوة الغاشمة المسلَّحة، التي تردَّدَت في خطوتها وكأنها لا تعرف هدفها الحقيقي، أمسكه الجنود من ذراعيه وجرُّوه إلى مكان ما، في مداراةٍ لتردُّدهم باستخدام القوة، وخوفهم بالهُزءِ من الجموع. احتشد التلاميذ متجاورين مثل حفنة من الحملان الخائفة، محاولين إعاقة تنفيذ الأمر، لكنهم لم يفعلوا حقًّا سوى عرقلة كل شيء- حتى أنفسهم، وقليلٌ منهم فقط تجرَّأ على التَّحرُّك والعمل بشكل منفصل عن البقية. دفع "بطرس" "سيمون" يحفِّزه على القتال، كما لو أنه فقد كُلَّ قوته، وسحب سيفه من غمده وأنزله بضَعفٍ على رأس أحد الكهنة، ضربة خرقاء- لم تتسبَّب في أي ضرر. عندما وعى المسيح لذلك، أمره بإلقاء السيف الذي لا طائل منه، وبصلصلة خافتة، سقط السيف الحديدي عند قدميه، وبدا وكأنه قد فقد قُدرَتَه على الطَّعن والقتل، لدرجة أن فكرة رفعه لم تخطر ببال أحد. وهكذا ظلَّ السَّيفان مكانهما حتى بعد رحيل الجميع، حتى إن بعض الأطفال قد وجدوهما بعد عدَّة أيام وبعد انتهاء الأمر، وطفقوا يتبارزون بهما في جزل.

دفع الجنود التلاميذ جانبًا، لكنَّهم استمرُّوا في التَّجمُّع مرَّةً أخرى، في محاولةٍ حمقاء لاعتراض طريق الجنود، استمرُّوا مُتحفِّزين لتكرار الأمر حتى أثاروا فجأة غضب الجنود؛ فتوجَّه أحدهم غاضبًا وعاقدًا حاجبيه نحو "يوحنا" صارخًا فيه، ورفع آخر يد "توماس" بوقاحةٍ عن كتفه بينما كان يحاول الجدال معه، ثم وجَّه الجنديُّ الأخير قبضته نحو عينَيْ "توما" الصادقتين الشَّفَّافتين- ركض "يوحنَّا"، وركض "توما"

وكذلك فعل "يعقوب" وفي إثرهم باقي التلاميذ، بكامل عددهم، ركضوا جميعًا تاركين المسيح في قبضة الأعداء. فقدوا عباءاتهم، وعَدَوْا إلى الأشجار، مُتعثِّرين على الصخور، سقطوا ثم قاموا، وأكملوا هروبهم نحو الجبال، مضطهدين بالخوف، وفي سكون الليل المقمر، كانت الأرض تنفجر بصوتٍ عالٍ تحت مصيدة أقدام لا تُعدُّ ولا تُحصَى. انطلق شخص غريب بَدَا وكأنه نهض لتوِّه من الفِراش لأنه كان مُغطًّى بلحافه فقط، انطلق بقَلقٍ بين حشد الجنود والكهنة. لكن عندما قرَّروا احتجازه وأمسكوا به من دثاره، أطلق صرخةً مُخيفةً وهرب، مثل الآخرين، تارِكًا ثوبه في أيدي الجنود. وهكذا ركض عاريًا تمامًا، بقفزاتٍ يائسة، بينما جسده العاري يتلألأ بغرابة تحت القمر.

عندما أخذ الجنود المسيح بعيدًا، خرج "بطرس" من وراء الأشجار حيث كان يقف هناك متربِّصًا من بعيد، وطارد مُعلِّمَه المُقيَّد بين أيديهم. ولمَّا لاحظ أمامه شخصًا آخر يسير في صمت، اعتقد أنه قد يكون "يوحنَّا"، فنادى عليه بهدوء:

""يوحنَّا"، هل هذا أنتَ؟".

"وهل هذا أنتَ يا "بطرس"؟" أجاب الآخر وقد التفت، عبر الصوت الذي أجابه، تعرَّف فيه "بطرس" على نبرة الخائن.

""بطرس"، لماذا لم تهرب مع الآخرين؟".

توقَّف بطرس وتلفَّظَ باشمئزازٍ:

"ابتَعِدْ عنِّي أيُّها الشَّيطان!".

ضحك يهوذا، أكمل مسيره ولم يُعِر أي اهتمام لبطرس، مشى في اتجاه الحشد حيث اختلط فحيح المشاعل وقرقعة الأسلحة مع الصَّوت البارز للأقدام فوق الأرض. تحرَّك بطرس أيضًا بحَذَرٍ من بعده، وهكذا، في نفس الوقت تقريبًا، دخلوا إلى فناء رئيس الكهنة

Scanned with CamScanner

واندمجوا بين حشدٍ من الخَدَم الجالسين يلتمسون من النار بعض الدفء. كان يهوذا يجلس بينهم كئيبًا يسخِّن يديه العظميَّتَيْن فوق النار عندما سمع صوت "بطرس" العالي في مكانٍ ما خلفه:

"لا، أنا لا أعرفه".

لكن يبدو أنهم كانوا مُصرِّين على كونه أحد تلاميذ المسيح؛ لأن "بطرس" كرَّر مرة أخرى، بصوتٍ أعلى: "بالتأكيد لا، أنا لا أعرف ما الذي تتحدَّث عنه!".

دون أن يستدير، وقد أخفق في كبح الابتسامة، هزَّ "يهوذا" رأسه إيجابًا وتمتم:

"حسنًا، حسنًا، "بطرس"! لا تَدَع أيَّ شخص يأخذ مكانك بجانب المسيح".

لم يَرَ "يهوذا" كيف غادر "بطرس" الخائف الفِناءَ خائفًا من كشف هويته. ومنذ ذلك المساء وحتى موت المسيح، لم يَرَ "يهوذا" أيًّا من التلاميذ عن قرب، ووسط كل ذلك الحشد لم يكن هناك سوى اثنين، لا يقدر على فصل روحيهما ولا حتى الموت نفسه، مرتبطان بوحشيَّة بآلامهما المشتركة: الشخص الذي تعرَّض للإيذاء والتعذيب، والشخص الذي خانه. شرب كلاهما من ذات كأس الألم، تتشرَّب شفاهما -الطاهرة والأخرى النَّجِسة- سائِلَه ناريَّ المذاق والتأثير.

يحدِّق "يهوذا" بثباتٍ في النار، التي تركَّت على عيونه أثر الحرارة، يمدُّ يديه نحو اللهيب، وترتجف فوقه، ويبدو جسده بين الظِّلال والضوء كطيفٍ مُرتَبِكٍ بلا شكلٍ مُحدَّد، يتمتم "الإسخريوطي"، بصوتٍ أجشَّ ومثير للشفقة:

"بارد جدًّا! يا إلهي، الجو باردٌ جدًّا".

Scanned with CamScanner

وهكـذا، كلّـما غـادر الصيـادون ليـلًا، تاركـين عـلى الشـاطئ نيرانًـا مشـتعلة، يرتفـع كيـانٌ مـا مـن أعـماق البحـر المظلمـة، يزحـف في اتجـاه النـار، يحـدِّق فيهـا بثبـاتٍ وبوحشـية، ويمتـدُّ بجميـع أطرافـه نحوهـا، ويتمتـم بصـوت خشـن ومثـير للشـفقة:

"بارد جدًّا! يا إلهي، الجو بارد جدًّا!".

فجـأة سـمع يهـوذا انفجـارًا مـن الأصـوات العاليـة يـأتي مـن خلفـه تحديـدًا، صراخ الجنـود وضحكاتهـم، مليئـة بالخُبـث والجشـع المألـوف، وإنمـا المختَلِـف، كان صـوت تلـك الضربـات القصـيرة اللاذعـة عـلى جسـدٍ حَـيٍّ. اسـتدار، وقـد اجتاحـه ألمٌ مفاجـئ تـرك أثـرًا غائـرًا عـلى جسـده بالكامـل ونبضـت لـه عظامـه- كان المسـيح هـو الـذي كان يضربونـه.

"إذن ذاك هو السبب!".

رأى الجنـود يأخـذون المسـيح إلى حُجـرَة حَرَسِـهم. كان الليـل يمـرُّ، وقـد أُطفِئَـت النـيران وغطّاهـا الرمـاد، ومـن حُجـرة الحراسـة لا يـزال بإمـكان المـرء سـماع صيحـات مكتومـة وضحـكات وشـتائم. مـا زالـوا يمارسـون تعذيبهـم للمسـيح.

اندفـع "الإسـخريوطي" بسرعـة حـول الفنـاء الفـارغ، وكان يتوقَّـف أحيانًـا، ويرفـع رأسـه، ويعـود مـرَّةً أخـرى إلى الركـض، قافـزًا بـين حلقـات النـار، مصطدمًـا بالجـدران.

ألصـق نفسـه بجـدار غرفـة الحراسـة، ثـم بالنافـذة، زاحفًـا حتـى إلى الشـقوق في المداخـل، مسـتطلعًا بشـديد اهتـمامٍ مـا كان يحـدث في الداخـل. رأى غرفـة مزدحمـة وخانقـة، قـذرة، مثـل جميـع غـرف الحراسـة في العـالم، كانـت الأرضيـة مُغطّـاة بالبصـاق، والجـدران مُلطَّخـة بالدهـون ومُبقَّعـة، كـما لـو أنهـا قـد دُهِنَـت عمـدًا بـكل مـا هـو مُقـزِّز.

Scanned with CamScanner

رأى الرجل الذي كانوا يضربونه. ضربوه على وجهه، على رأسه، تبادَلوا دفعه ذهابًا وإيابًا فيما بينهم كورقة شجر، من طرف إلى آخر، ولأنه لم يصرخ ولم يقاوم؛ ظنَّ "يهوذا" بعد فترة من المراقبة المكثَّفة، أن الرجل لم يَعُد حيًّا، بدا كنوعٍ من الدُّمى اللينة، دون دَم أو عظام، كان جسده ينحني بشكل غريب، حتى عندما يصطدم بالأرض الحجرية كلَّما سقط، لم يَبدُ له ردُّ فِعلِ مَن يرتطم بشيء صلب، ظلَّ نفس الشيء الناعم، ذاك الذي لا يحسُّ ألمًا.

إن كان للمرء أن يشاهد الأمر لفترة طويلة، لَظَنَّها حتمًا لُعبةً غريبة بلا نهاية- حتى لتصير أشبه بالحلم السيِّئ، بالوهم. بعد ضربة قويَّةٍ سقط الرَّجُل أو الدُّمية بسَلاسَةٍ على ركبتَيْ جنديٍّ جالسٍ. بدوره، دفعه الجندي بعيدًا، فالتفَّ وسقط على رُكبَتَيْ الآخر، ثم مثل ذلك مرارًا وتكرارًا. اندلع ضحكٌ عنيف، وابتسم "يهوذا" أيضًا- كما لو أن يَدَ شخصٍ قويَّة مزَّقَت فمه بأصابعها الحديدية. كان فم "يهوذا" يخدعه.

كان الليل ما يزال فتيًّا، وقد عادت النيران تشتعل، ذلك بعد أن انزاح "يهوذا" عن الحائط أخيرًا، متجوِّلًا ببطء، حفر في الرماد، ثم أضرم النار من جديد، ثم مدَّ يده المرتعشتين قليلًا فوق اللهب، وتمتم في رثاء:

"آه، هذا مؤلم، إنني أتألَّم كثيرًا، يا عزيزي، عزيزي، يا عزيزي. هذا مؤلِمٌ للغاية، ألم شديد شديد".

ثم عاد إلى النافذة، يلمع وجهه مُصفرًّا بلون النيران الخافتة التي انعكست على وجهه آتيةً من الثقوب الصغيرة في الشبكة الحديدية على النافذة، شاهدهم مرَّةً أخرى يضربون المسيح، استطاع "يهوذا" رؤية وجهه الداكن مشوَّهًا تحت خصلة من الشَّعر المتشابك. الآن حفَرَت يَدُ شخصٍ ما في خصلاته، وقذَفَت الرجل على الأرض، ثم بدأ

Scanned with CamScanner

الجندي في مسح الأرضية المغطّاة بالبصاق بوجه المسكين. كان جنديٌ نائمًا أسفل النافذة تمامًا، وفمه مفتوحٌ تظهر من تحته أسنانه البيضاء المتلألئة، الآن -أمام "يهوذا"- ظهر شخصٌ عريض برقبة سمينة عارية يسدُّ النافذة، لم يستطع أن يرى أكثر من ذلك. فجأة صمت كل شيء.

ما هذا؟ لماذا هم صامتون؟ هل اكتشفوا الحقيقة؟

فجأة بدأ رأس "يهوذا" كله، كلُّ جزءٍ منه، يمتلئ بالطنين والصراخ وزئير ألف فكرةٍ مسعورة. هل اكتشفوا الحقيقة؟ هل فهموا أن هذا -ذاك هو أفضل الرجال؟- الأمر بسيطٌ للغاية وواضح جدًّا. يقفون الآن أمامه على رُكَبهم ويبكون بهدوء ويُقبِّلون قدميه. سيخرج الآن إلى هنا، ويزحفون وراءه مطيعين- يخرج إلى هنا، إلى يهوذا، يخرج منتصرًا...

"مَن يخدع يهوذا؟ مَن على حقٍّ؟".

لكن لا. مرة أخرى عاد الضجيج والصراخ. إنهم يضربونه مرة أخرى. لم يفهموا شيئًا، ولم يتوصّلوا إلى حلٍّ، بل يضربونه بقوة أكبر، ويُلحقون به المزيد من الألم. انطفأت النيران، وعادت مُغطَّاةً بالرماد، والدخان من فوقها أزرق شفاف، والقمر ساطع في السماء. يقترب باليوم حثيثًا حثيثًا.

"ما هو اليوم؟" لاح اليوم أمام عيون "يهوذا"، كل شيء مُضاء، لامع، متجدِّد، حتى الدخان لم يَعُد أزرق، بل ورديًّا، ها هي الشمس تُشرِق.

"ما هي الشمس؟" يعيد "يهوذا" السؤال.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل الثامن

أشار الناس إلى "يهوذا" وقالوا، بعضهم بازدراء، والبعض الآخر بحقد وخوف:

"انظروا، هذا هو "يهوذا" الخائن."

كانت هذه بدايةَ عارِه، الذي حُكِم به عليه إلى الأبد. ستمرُّ ألف سنة، وستستبدل الشعوب بشعوب، لكن ذات الكلمات ستظلُّ تُدوِّي في الهواء، يطلقها الخَيِّرون والأشرار على حدٍّ سواء بازدراء وخوف.

""يهوذا" الخائن... "يهوذا" الخائن!".

لكنه استمع دون قلقٍ إلى كل ما قالوه عنه، مستغرقًا في شعوره القاتل بالفضول، يكاد حرفيًا يحترق. في الصباح، عندما أخرجوا المسيح من فرقة الحراسة، سار "يهوذا" وراءه، ولسببٍ غريب لم يستطع أن يشعر بأي شيء، لا حزن، لا ألم ولا حتى أي سعادة- فقط رغبة لا

Scanned with CamScanner

يمكنه التحكُّم فيها في رؤية وسماع كل ما يجري. على الرغم من أنه لم يَنَم طوال الليل، شعر بنفسه في حالة من اليقظة التامة، عندما لم يسمحوا له بالمرور؛ تزاحم، دفع الناس جانبًا وتحرَّك برشاقة إلى الأمام، رفَّت عينه السريعة المتحرِّكة في استطلاعٍ بلا راحة. عندما بدأ "قيافا"[1] في استجواب المسيح، خشي "يهوذا" أن تفوته أي كلمة، فوضع يده على أذنه هازًّا رأسه بقوَّة، متمتمًا:

"حسنًا، حسنًا، هل تسمع ما يدور في رأسي أيُّها المسيح؟".

لكنَّه لم يكن حُرًّا من أفكاره بعدُ. قد يحاول عقله الأشبه بالذبابة المربوطة بخيط الفرار بين هنا وهناك، لكن الخيط العنيد غير المطيع لن يُفلِتَها ولو لثانية. كمنت الأفكار في مؤخِّرة رأس "يهوذا"، وكان مربوطًا إليهم بإحكام، لم يَبدُ عليه أنه يعرف ماهية تلك الأفكار، ولم يرغب في لمسها، لكنه ظلَّ يشعر بها طوال الوقت. مرَّت عليه لحظات قاتمة، تزاحمت عليه أفكاره تلك، ضغطت بكل ثقلها، وبدأت في سحقه بوزنها الرهيب الذي لا يمكن تخيُّله أو تحمُّله- كأنها قبوٌ مُظلِمٌ في كهف ممتلئ بالأسرار ينهار فجأة فوق رأسه. كلَّما تكرَّر عليه هذا الأمر، وضع يده على قلبه، مُحاوِلًا أن يحرِّك جسده، ويفكَّ عنه جموده، ثم يزيغ بعينيه بحثًا عن أي شيء حوله يمكنه من تحويل تركيزه عن المعركة بداخل رأسه.

عندما اقتيد المسيح بعيدًا عن "قيافا"، التقت أعينهم عن قرب، فمنحه عدَّة إيماءاتٍ ودِّيَّة برأسه دون وعي.

"أنا هنا، يا بُنيَّ، أنا هنا!" تمتم "يهوذا" قاصدًا المسيح، غاضبًا دافعًا هؤلاء الذين كانوا يسدُّون طريقه إليه.

---

(1) يوسف بن قيافا (أو الاسم الأكثر تداولاً: قيافا)، وهو حسب الكتاب المقدَّس من أعضاء السنهدرين، ومن الذين شاركوا في محاكمة المسيح.

Scanned with CamScanner

الآن، انطلق الحشد الضخم الصاخب لرؤية بيلاطس ومحكمة الاستجواب النهائي والكشف عن دينونة المتهم. بنفس الفضول الذي ما يزال يأكل أحشاءه، بحث "يهوذا" في وجوه الجمع، كان أغلبهم غير مألوفين، لم يسبق أن رآهم "يهوذا"، لكن ومن بين الحشود، انطلقت بضعة أصوات وصرَخَت: "أوْصِنا!"، قاصدين المسيح، بضعة أصوات ظلّت تتزايد مع كل خطوة.

"حسنًا، حسنا!" فكّر "يهوذا" بسرعة، وبدأ رأسه يدور وكأنه منتَشٍ من أثر خمر. "انتهى الأمر. في أي لحظة الآن سوف يصرخون: "إنه مُعلّمنا، هذا هو المسيح المبجّل، ماذا تفعلون به؟"، وسوف يفهم الجميع قدره، ثم...".

لكنَّ المؤمنين ساروا صامتين. تظاهروا بالابتسام، وتظاهروا بأن كل هذا لم يكن له أدنى تأثير عليهم، كانوا ينادون بين أنفسهم بضرورة ضبط النفس، لكن أصواتهم الهادئة التي نادت على مُعلّمهم غرقت وسط هدير أعداء المسيح الذين كانوا يصرخون بصوتٍ عالٍ محموم. ومرّة أخرى شعر بالنور الآتي من حيث لا يدري. فجأة لاحظ "يهوذا" أن "توما" يشقُّ طريقه بحذر بالقرب منه، ففكّر سريعًا في شيء ما، وقرّر الاقتراب منه. خاف "توما" من رؤية الخائن وأراد أن يختبئ، لكن يهوذا لحق به في شارع ضيّقٍ وقَذِر بين جدارَيْن.

""توما"! انتظر!".

توقّف "توما"، ومدَّ يديه إلى الأمام يمنعه.

"ابتَعِدْ عنّي أيُّها الشيطان".

لوّح "الإسخريوطي" بيده بفارغ الصبر.

"كم أنتَ غبيٌّ يا "توما"، اعتقَدتُ يومًا أنك أكثر ذكاءً من الآخرين. الشيطان! الشيطان! ألا يجب على الإنسان أن يتثبّت ممّا يقول؟".

Scanned with CamScanner

أنزل "توما" يديه وسأل بدهشة:

"لكن ألم تَخُنْ مُعلِّمَنا؟ رأيتُ بنفسي كيف أحضرتَ الجنود وأشَرتَ لهم إلى المسيح. إذا لم تكن تلك خيانة، فما هي الخيانة؟".

قال "يهوذا" على عجل: "شيء آخر تمامًا، الخيانة شيء آخر... اسمع، هناك الكثير منكم هنا. تحتاجون جميعًا إلى الوقوف معًا والمطالبة بصوتٍ عالٍ: أعطونا المسيح، فهو مُعلِّمنا. لن يرفضوا حينها الاستجابة إليكم، لن يجرؤوا. لن يجرؤوا. هيا بنا، هيا الآن...".

أزاحه "توما" بعيدًا بحَزمٍ، "ألم ترَ كم عدد الجنود المسلَّحين وخَدَم المعبد؟ ناهيك عن أن المحاكمة فعليًّا لم تُجرَ بعدُ ولا يجب أن نعرقلها. بالتأكيد سيفهمون بعدها أن المسيح بريء وسيأمرون بإطلاق سراحه على الفور".

"هل تؤمن بهذا أنت أيضًا؟" سأل "يهوذا" بعناية. ""توما"، "توما"، ولكن ماذا لو كان هذا صحيحًا؟ ماذا بعدُ؟ مَن على حقٍّ إذن؟ مَن سيكون ذاك الذي خدع "يهوذا" هذه المرَّة؟".

"لقد تحدَّثنا طوال الليل عن هذا وقرَّرنا أنه لا توجد طريقة يمكن للمحكمة أن تدين فيها بريئًا. ولكن إن أدانته فعلًا...".

"نعم، ماذا سيحدث؟" سارع به "الإسخريوطي" بحثًا عن إجابة.

"إن أدانته فتلك ليست محكمةً عادلةً، وسيشعرون بالأسف عندما يتعيَّن عليهم الرَّدُّ على هذا أمام القاضي الحقيقي".

"القاضي الحقيقي؟ هناك حاكِمٌ وقاضٍ حقيقيٌّ أيضًا؟" ضحك "يهوذا".

"وقد شتمناك جميعًا، ولكن، إذا كُنتَ كما تقول لستَ خائنًا، فعليك أنت أن تخضع للمحاكمة".

Scanned with CamScanner

استدار "يهوذا" بحدّةٍ وانطلق بسرعة في الشارع بعد اختفاء الحشد دون أن ينتهي من الاستماع إلى "توما". لكنه سرعان ما أبطأ من وتيرته وبدأ في المشي بلا عجلة، مُفكِّرًا في أن الحشود دائمًا ما تسير على مهل، وإن أسرع أحدٌ بينهم الخطوَ بمُفرَدِه؛ فسيسبقهم ويصير بينهم واضحًا.

عندما أخرج "بيلاطس" المسيح من قصره وقدَّمه أمام الشعب، دفع "يهوذا" طابورًا من ظهور الجنود المتراصَّة، وحرَّك رأسه بين أكتافهم بعُنفٍ؛ علَّه يرى أيَّ شيء من بين الخوذات المتلألئة، شعر فجأة باليقين من أن كل شيء قد انتهى الآن. تحت الشمس، عاليًا فوق رؤوس الجموع، رأى المسيح، مُلطَّخًا بالدماء، شاحِبَ اللون، يرتدي إكليلًا من الأشواك، يحفر الإكليل في جبهته بأشواكه، كان واقفًا على حافَّةٍ مرتفعة، وجسده كله على مرمى البصر، من رأسه إلى قدميه الصغيرة المدبوغة ينتظر مصيره بصبرٍ شديد، كانت نزاهته وبراءته واضحة جدًّا، لم يكن ليعمى عنها سوى الضرير العاجز أصلًا عن رؤية الشمس، ولم يكن ليغفل عن فهمها سوى المجنون. كان الحشد صامتًا، والصمتُ شديدًا، حتى إن "يهوذا" سمع أنفاس الجندي أمامه، ومع كل نَفَسٍ يصدر من حوله في مكان ما، كان السَّوط يصرخ على جسد الرجل النزيه.

وبالتالي، انتهى. "الآن سوف يفهمون" فكَّر "يهوذا"، وفجأة، أوقف قلبَه شيءٌ غريبٌ، شيء شعر به مثل السعادة العمياء التي تنشأ ما بين السقوط من جبل شاهق إلى هاوية زرقاء لامعة.

ألقى "بيلاطس"، وهو يسحب شفتيه بازدراءٍ إلى ذقنه المستديرة بكلمات فظَّةٍ وجافَّة على الحشد -كلمات بدت مثل العظام التي أُلقيت على قطيع من الكلاب الجائعة- راغبًا في خداع تعطُّشِهم لدماءٍ جديدة ولحم حيٍّ يرتجف.

Scanned with CamScanner

عاد "يهوذا" يتخيَّل:

"أحضَرتَ لي هذا الرجل زاعمًا أنه ينتوي إفساد الشعب علينا. والآن بعد أن فحصتُ هذا الرجل قبلكَ لم أجده مُذنِبًا بما تتَّهمه به...".

أغلق "يهوذا" عينيه. إنه ينتظر أن يتحقَّق خياله.

صار كل فرد من الحشد يصرخ ويهتف ويعول بألف صوت، بشرًا ووحوشًا:

"الموت له! اصلبه! اصلبه!".

وكأنهم يريدون التَّحرُّر من إحساسهم بالعار لوجوده؛ فداخلهم الجنون، ظلَّ نفس الناس يصرخون ويطالبون بألف صوت من البشر والوحوش.

"أطلِقْه لنا بيلاطس! أو اصلبْه! اصلبْه".

لكنَّ الروماني لم يُصرِّح بعدُ بكلمته الأخيرة- نوبات من الاشمئزاز والغضب تمرُّ عبر وجهه الحليق المتغطرس. إنه يفهم، إنه يعلم! الآن يتحدَّث بهدوء إلى خُدَّامه، لكن صوته لا يُسمَع في هدير الجمع. ماذا يقول؟ هل يأمرهم بأخذ سيوفهم وضرب هؤلاء المجانين؟

"أحضِروا الماء".

ماء؟ ما الماء؟ لأجل ماذا؟

ها هو الآن يغسل يديه -لسببٍ ما يغسل يديه النظيفتين البيضاوين المُزَيَّنتَيْن بالخواتم- ويرفعهما ويصرخ بشراسة للجمهور الصامت المذهول:

"أنا بريء من دم هذا الصالح. انظروا إلى ذلك بعيونكم".

Scanned with CamScanner

كان الماء لا يزال يتدحرج بأصابعه على الألواح الرخامية عندما اقترب شيءٌ ما أمام قدم "بيلاطس"؛ شيء كانت شفاهه الساخنة الحادَّة تُقبِّل يده- تمتصُّها، مثل اللوامس، تسحب الدم عنها، وتكاد تقضمها. ينظر "بيلاطس" إلى الأسفل بخوفٍ واشمئزاز، يرى جسدًا كبيرًا متلويًّا، ووجهًا منقسمًا بعنف مع عينين هائلتين، تنظران في اتجاهين مختلفين بشكل غريبٍ، لدرجة أنه شعر كأنها حفنة من مخلوقات غريبة بأيادٍ وأرجُلٍ بلا عدد.

سمع همسًا مسمومًا مكسورًا محمومًا:

"أنت حكيم!... أنت نبيل!... أنت حكيم، حكيم".

يتوهَّج وجهه الجامح بسعادة شيطانية لدرجة أن "بيلاطس" يصرخ ويطرده، ويسقط "يهوذا" على ظهره. ممدَّدًا على الألواح الحجرية، يبدو وكأنه شيطانٌ مقلوب، يستمرُّ في مَدِّ يده نحو "بيلاطيس" الذي ابتعد عنه، ويصرخ بشغف، كما لو كان مُغرَمًا:

"أنتَ حكيم! أنت حكيم! أنت نبيل".

ينهض "يهوذا" راكضًا برشاقة ويرافقه ضحك الجنود. بعد كل شيء، لم ينتهِ الأمر بعدُ. عندما يرون الصليب، عندما يرون المسامير؛ قد يفهمون، وبعد ذلك... ماذا بعد ذلك؟ ألقى نظرة خاطفة على "توما" الشاحب المذهول، ولسببٍ ما منحه إيماءةً هادئة برأسه، ثم لحق بالمسيح وهو في طريقه إلى الإعدام. كان السير عسيرًا بينما تلك الحجارة الصغيرة تتدحرج تحت قدميه، وفجأة شعر "يهوذا" أنه مُتعَبٌ. قرَّر أن يُركِّز كلَّ طاقاته الآن على أفضل طريقة لغرس قدميه في الأرض ليكمل الطريق، نظر حوله ورأى "مريم المجدليَّة" تبكي، ورأى العديد من النساء يبكين- شعورهنَّ فضفاضةٌ، وعيون حمراء، وشفاهٌ ملتوية... كلُّ هذا الحزن اللطيف الآتي من الأرواح التي استسلَمَت أخيرًا للغضب. انتهز اللحظة وركض نحو المسيح.

Scanned with CamScanner

همس على عَجَلٍ: "أنا معك!".

حاول الجنودُ إبعادَه بضربات سياطهم، وهو يتلوَّى لكي يُفلِتَ من الضربات، بفمٍ مفتوح يظهر للجنود أسنانه، يشرح على عجل:

"أنا معك. هناك. أنت تفهم، هناك حيث ستذهب".

يمسح الدماء عن وجهه ويُهدِّد الجنديَّ بقبضته. لسبب ما؛ كان يبحث عن "توما"، لكنه لم يكن هو ولا أي من التلاميذ حاضرين في الحشد. مرَّةً أخرى يشعر بالتعب، تؤلمه ساقاه بشدَّة، وينظر بعناية إلى الحجارة البيضاء الصغيرة الحادَّة تحتها.

عندما رفعوا المطرقة من أجل تثبيت يد المسيح اليُسرى على الخشب، أغلق "يهوذا" عينيه وحبس أنفاسه إلى الأبد، لم يَعُد يرى شيئًا، ولا يشعر بالحياة، كان مُستَمِعًا فقط الآن. ضربة مُقزِّزة من الحديد على الحديد، ثم سلسلة من الضربات القصيرة والباهتة والمنخفضة واحدة تلو الأخرى- يمكن للمرء أن يسمع صوت المسمار الحاد بينما يشقُّ طريقه نحو الخشب اللَّيِّن ويفصل أليافه.

يدٌ واحدة صُلِبَت. لم يَفُت الأوان بعدُ.

صلبت الأخرى. لم يَفُت الأوان بعدُ.

قَدمٌ صُلِبَت، ثم القدم الأخرى- هل انتهى الأمر حقًّا؟ يفتح عينيه على مضض ويرى الصليب مرفوعًا، متأرجحًا، ثم يثبِّتونه في الحفرة. يرى ذراعَيْ المسيح تمتدُّ بشكل مؤلم، وتتشنَّج بشدَّة، وتتَّسِع جروحه، وقد تراجَعَت بطنه المرهقة خلف ضلوعه. تتمدَّد ذراعاه بلا توقُّف، وتستمرُّ في التَّمدُّد، وتصبح أنحفَ فأنحفَ، تصير شاحبةً، وتلتف عند الكتفين، تنمو جروحًا باللون الأحمر تحت الأظافر، وتتسلَّل- سيتمزَّق الآن في أيِّ لحظة... لا، تتوقَّف الحركة. كل شيء يتوقَّف. وحدها الأضلاع فقط تتحرَّك، ترتفع مع بضعة أنفاس قصيرة وإنما عميقة.

Scanned with CamScanner

على رأس التَّلِّ، رُفِع صليبٌ- وفوقه صُلِب المسيح. لقد تحقَّقت أهوال "الإسخريوطي" وأحلامه- نهض بعد أن كان راكعًا على ركبتيه لسببٍ ما، ونظر حوله ببرود. هكذا حدَّق المنتصر الذي قرَّر بالفعل في قلبه الاستسلام للموت والدمار، ومسح بعينيه للمرَّة الأخيرة تلك المدينة الأجنبية من حوله، لا تزال حيَّةً وصاخبة، لكنها تمتلئ في عيونه بالأشباح تسير تحت يد الموت الباردة بلا روح. فجأة، لاح له بوضوحٍ قَدرُ انتصاره الرهيب، غير أنه لم يستطع أن يرى فيه سوى هشاشته المشؤومة، ولكن... ماذا لو اكتشفوا الأمر في اللحظات الأخيرة؟ لم يَفُت الأوان بعدُ ليعرفوا قيمة المسيح، إنه ما يزال حيًّا، هناك، يحدِّق في الجمع بعينيه الحزينة المتوسِّلة...

ما الذي قد يمنع ذاك الغشاء الرقيق الذي يعمي عيونهم عنه من التَّمزُّق فجأة، إنه رقيق للغاية حتى ليكون معدومًا إن نظروا بقليل جهد. ماذا لو... اكتشفوا الحقيقة؟

ماذا لو قرَّر التلاميذ الثورة على حين غرَّة مصطحبين جماعتهم الهائلة من الرجال والنساء والأطفال، في صمت، دون صراخ، وارتأوا محاربة الجند، وإغراقهم حتى آذانهم في دمائهم، وتمزيق ذلك الصليب الملعون من الأرض، وبأيادي أولئك الذين بقوا على قيد الحياة يرفع المسيح المُحرَّر عاليًا فوق تاج الأرض!

"أوصِنا! أوصِنا!".

أوصِنا؟ كلَّا، الأفضل ليهوذا الآن أن يضطجع على الأرض. لا من الأفضل أن تراقب وتنتظر على هذا الوضع، تصرُّ أسنانُكَ كالكلب حتى يستوي الأمر. لكن ماذا حدث للزمن؟ يبدو كأنه يكاد يتوقَّف، حتى إنَّك لترغب في دفعه، بيديك وساقيك، ركله، ضربه بالسَّوط مثل حمار كسول- الآن صار "يهوذا" يسقط من عَلٍ، من فوق جبل شاهق، تنحبس أنفاسه في مقاومة الهواء، تسعى يده عبثًا إلى التشبُّث بأي

شيء. هناك تبكي "مريم المجدلية"، وهناك تبكي أمُّ المسيح. دعهم يبكوا، هل لدموعهم أي معنى الآن؟ دموع كلِّ الأمهات، كل نساء العالم.

"ما هي الدموع؟" يسأل "يهوذا" بينما يحاول بكل طاقة امتلكها دفع الوقت الساكن إلى الأمام، ويضربه بقبضتيه، ويلعنه، كما لو كان عبدًا. آه لو كان الوقت ملك "يهوذا"، لكنه يخصُّ أشخاصًا آخرين؛ لهذا هو عليه عصيٌّ- إنه ملك يمين لكل هؤلاء الباكين، الضاحكين، المتحدِّثين، كما لو كانوا في السوق. الوقت ملكٌ للشمس، ملك للصليب، ولقلب المسيح الذي يحتضر ببطء شديد.

يا له من قلب لئيم ذلك الذي ينبض في صدر "يهوذا"! يمسكه بيده لكنه يصرخ "أوْصِنا!" بصوتٍ عالٍ، لدرجة أن الجميع قد يسمعها في أي لحظة الآن. يضغطه على الأرض، لكنه يصرخ: "أوْصِنا! أوْصِنا!"- كثرثار المعبد الذي ينطلق في الأسواق مُفشيًا الأسرار الإلهية... اصمتْ! كُنْ صامتًا.

فجأة سمع "يهوذا" عويلًا عاليًا مكسورًا، صرخات متكرِّرة، حركة مُتسرِّعة نحو الصليب. ما هذا؟ هل توصَّلوا إلى الحقيقة أخيرًا؟

لا، إنه المسيح يحتضر. وهل هذا ممكن؟ نعم، المسيح يحتضر. يداه الشاحبتان بلا حراك، لكن تشنُّجات قصيرة تمرُّ عبر وجهه، عبر صدره وساقيه. وهل هذا ممكن؟ نعم، إنه يحتضر. أصبح تنفُّسه أقلَّ تَواتُرًا. توقَّف عن التَّنفُّس... لا، نَفَسٌ آخر، لا يزال المسيح حيًّا على الأرض. نَفَسٌ آخر؟ لا... لا... لا... مات المسيح.

لقد تحقَّق الأمر أخيرًا. أوْصِنا! أوْصِنا...

لقد تحقَّقَت الأهوال والأحلام. مَن سينتزع النصر الآن من أيدي "الإسخريوطي"؟ صار واقعًا. فلتتدفَّق كل الشعوب الموجودة على الأرض إلى الجليل ويصرخوا بالملايين من حناجرهم: "أوْصِنا، أوْصِنا!"-

Scanned with CamScanner

وسوف يسكبون بحرًا من الدماء والدموع عند قدميه، ولن يجدوا إلَّا الصليب المخزي، والمسيح الذي مات.

يتفقَّد "الإسخريوطي" المُتوفَّى بهدوءٍ وبرودة، ويوقف نظره للحظة على وجنته، تلك التي منحها بالأمس فقط قبلة الوداع، ثم يسير عائدًا ببطء. الآن كل الوقت ملكُ بَنانه؛ لذا يمشي بلا عجلة. الآن كل الأرض ملك يمينه؛ لذا صار يسير بحزم، مثل اللورد، مثل القيصر، مثل الشخص الذي يختبر وحيدًا كلَّ سعادة العالم. يرى والدة المسيح فيخبرها بقسوة:

"هل تبكين يا أُمِّي؟ ابكي، ابكي، ستبكين أمدًا كلَّ أُمَّهات الأرض، حتى يحين الوقت الذي نعود فيه إلى الأرض في صحبة المسيح ونهلك الموت ذاته".

ماذا- هل هو مجنون أم أنه يسخر منها هذا الخائن؟ لكنه جادٌّ، ووجهه صارم، ولم تَعُد عيناه العمياء تتحرَّك بلا هدف. الآن تَوقَّف وفحص باهتمامٍ بارد هذه الأرض الجديدة الصغيرة. أصبحت صغيرة في عيونه بالفعل، ويمكن أن يشعر بها كلها تحت قدميه. ينظر إلى الجبال الصغيرة، يحملق بهدوء في أشعَّة الشمس، ويشعر بالجبال تحت قدميه، ينظر إلى السماء، وفمها الأزرق مفتوحٌ على مصراعيه، ينظر إلى الشمس المستديرة الصغيرة، محاولًا عبثًا أن يعمى ويحترق- ولكنه أيضًا يشعر بالسماء والشمس تحت قدميه. يشعر وحيدًا بسعادة لا متناهية، بفخر، بعجز كلِّ قوَّةٍ وُجِدَت على هذه الأرض، يحملهم جميعًا بين قبضة يده، ويلقي بهم إلى الهاوية.

مستمرًا في مسيرته، هادئًا، قائد، بينما الوقت لا يتحرَّك أمامه ولا خلفه. صار مطيعًا، يمشي في إثره بكل قيامته الخفيَّة.

لقد تحقَّق الأمر أخيرًا.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

الفصل التاسع

ظهر "يهوذا الإسخريوطي"، الخائن، أمام "السنهدرين"[1] كوغدٍ عجوز يسعل ويبتسم بإطراء، ولا يتوقَّف عن الانحناء. كان هذا في اليوم التالي لقتل المسيح، بحلول منتصف النهار تقريبًا. كانوا جميعًا حاضرين" قُضاةً وقَتَلَة، كان "حنانيا" هناك مع أبنائه، بأجساد سمينة، وهيئة مثيرة للاشمئزاز، لا يختلف أيٌّ منهم عن أبيه، كذا وقف صهره، "قيافا"، يتعذَّب بحُبِّه الشديد للتسبيح. كان جميع أعضاء "السَّنهدريم" حاضرين في المكان، أولئك الذين نُحِلَت أسماؤهم من ذاكرة البشرية" صَدُّوقيُّون أثرياء ومُميَّزون، فخورون بقوتهم ومعرفتهم بالقانون. استقبلوا الخائن في صمت، وظلَّت وجوههم المتغطرسة على حالها بلا تعبير. حتى أصغر الأعضاء، وأشدُّهم تَفاهةً، ذلك الذي لم يُعِره

(1) سنهدريم أو سنهدرين هي كلمة عبرية منقولة عن "سندريون" أيضًا، ومعناها حرفيًّا "الجالسون معًا"، والسنهدرين هنا هو مجلس قادة الفرِّيسيِّين.

الآخرون أيَّ اهتمام، حتى هو رفع وجهه الشبيه بالطيور، كأن شيئًا لم يتغيَّر في المكان. انحنى "يهوذا" وانحنى وانحنى، بينما ظلُّوا هم يُحدِّقون في صمت: كأنه ليس رجلًا دخل إلى حضرتهم، بل حشرة قذرة زحفت داخلها لم ينتبهوا إليها. لكن "يهوذا الإسخريوطي" لم يكن من النوع الذي يصيبه الحرج: ظلُّوا صامتين وظلَّ ينحني، وفكَّر في نفسه أنه إذا كان عليه أن ينحني حتى المساء؛ فسيظل يسجد حتى المساء. أخيرًا، سأله "قيافا" فاقدًا الصَّبر:

"ماذا تريد؟".

انحنى يهوذا مرَّةً أخرى وقال بصوتٍ عالٍ:

"أنا "يهوذا الإسخريوطي"، الذي باعَكَ المسيحَ الناصريَّ".

"وماذا بعد؟ لقد تلقَّيتَ الثمن. غادِرْ!" أمر "حنانيا"، لكن يهوذا ظلَّ ينحني وكأنه لم يسمع الأمر. ألقى "قيافا" نظرةً عليه، ثم سأل "حنانيا":

"كم أُعطى؟".

"ثلاثون قطعة فضِّيَّة".

ضحك "قيافا"، وحتى "حنانيا" العجوز نفسه ضحك، وتسلَّلَت ابتسامة مَرِحة على كل وجهٍ مُتعَجرِف ضمَّ الجلسة، حتى ذلك الشخص الذي كان له وجهٌ يُشبِه الطائر بدأ يضحك. شحب وجه الخائن بوضوح، وأدرك "يهوذا" بسرعة السبب وراء الضحكات.

"حسنًا، حسنًا، بالضبط! هذا قليل جدًّا"، و"يهوذا مُستاءٌ في واقع الأمر، هل يصرخ "يهوذا" مُشتَكيًا بأنه قد سُرق؟ لا، هو راضٍ. ألم يكن فِعلُه قد خَدَمَ قضيَّةً مُقدَّسة؟ بلى، كانت مُقدَّسة. ألا يستمع أحكَمُ الرجال الآن إلى "يهوذا" ويفكِّرون: إنه لنا، "يهوذا الإسخريوطي"، إنه أخونا، صديقنا، "يهوذا الإسخريوطي"، الخائن؟ ألا يريد "حنانيا" الركوع

Scanned with CamScanner

على ركبتيه وتقبيل يد "يهوذا"؟ لكن "يهوذا" لن يمكِّنَه من ذلك؛ إذ إنه خائفٌ من أن يلدغه.

قال "قيافا": "أَخْرِجْ هذا الكلبَ. ما ذاك الذي يقف وسطنا نابحًا؟".

"اترُكنا". قال "حنانيا" بلا مبالاة: "ليس لدينا وقت للاستماع إلى مناجاتِكَ".

قام "يهوذا" وأغمض عينيه، وصار وجهه المتأثِّر المتَوسِّل، الذي حمله طوال حياته فجأة عبئًا لا يطاق، وبحركة واحدة من رموشه أزاله عن وجهه؛ لذلك عندما نظر مرَّةً أخرى إلى "حنانيا"، كانت نظرته بسيطة موجَّهة ومخيفة في صدقها. لكن حتى هذا لم يلاحظوه.

"هل تريد أن تُطرد بالعِصيِّ؟" صاح "قيافا".

كان "يهوذا" يختنق تحت وطأة الكلمات الرهيبة التي كان يحاول في عقله أن يرفعها أعلى فأعلى لكي يلقي بها على رؤوس القُضاة، سأل بصوتٍ أجشَّ:

"وهل تعرف... هل تعرف... مَن هو- الشخص الذي أَدَنتَه بالأمس وصَلَبتَه؟".

"نعلم. غادِرْ!".

بكلمة واحدة سيُمزِّق الآن ذلك الغشاء الرقيق الذي يغطِّي أعينهم، وسترتجف الأرض كلها تحت وطأة الحقيقة القاسية! كانت لديهم روحٌ -سوف تضلُّ عنهم، كانت لديهم حياة- سوف يفقدونها، كان لديهم نورٌ ساطع أمام أعينهم، سيُغطِّيهم الظلام الأبَديُّ والرعب.
"أوصِنا! أوصِنا".

وها هم جالسون هنا، بينما هذه الكلمات الرهيبة، تمزِّق حلقه:

"لم يكن دَجَّالًا. كان بريئًا ونَقِيًّا. هل تسمعني؟ لقد خدعك "يهوذا". لقد باعك رَجُلًا بريئًا".

ظلَّ ينتظر. سمع صوت "حنانيا" اللا مبالي المُسِنَّ يجيب:

"هل هذا كل ما أردتَ أن تقوله لنا؟".

"يبدو أنك لم تفهمني"، تكلَّم "يهوذا" بكرامة. "لقد خدعكم "يهوذا". كان بريئًا. لقد قَتلتَ رجلًا بريئًا".

ابتسم الوجه الشبيه بالعصفور، بينما ظلَّ "حنانيا" غيرَ مُبالٍ، يشعر بعظيم مَلَلٍ، مُتثائبًا، وقد انتقَلَت العدوى إلى "قيافا" فتثاءب بدوره، ثم قال:

"مَن ذاك الذي أخبرني يومًا عن ذكاء "يهوذا الإسخريوطي"؟ إنه أحمق، مُجرَّد أحمق مُمِلٌّ للغاية".

"ماذا!" صرخ "يهوذا" يكاد يُجنُّ. "ومَن أنتم أيُّها الرجال الأذكياء! لقد خَدَعكَ "يهوذا"- هل تسمع! لم يَخُن "يهوذا" المسيحَ، لكنَّكَ أيُّها الحكيم، أنتَ، الرَّجُل القوي، خانَكَ "يهوذا" وباعكَ لعارٍ سيَلزَمُكَ أبدًا. ثلاثون قطعة فضية! حسنًا حسنًا. لكن، بعد كل شيء، هذا هو ثمن دَمِكَ، دمك العَكِر تمامًا كالمياه القذرة التي تصبُّها النساء خارج أبواب منازلهن. آه، "حنانيا" العجوز، الأشيب، الغبي "حنانيا"، الغَيور على القانون- لماذا لم تمنحني قطعة فضية أخرى، قطعة واحدة أخرى؟ بعد كل شيء، أهذا هو السِّعر الذي تبيع به نفسك للجحيم إلى الأبد؟".

"اخرج!" صرخ "قيافا"، وقد احمرَّ وجهه. لكن "حنانيا" أوقفه بحركة من يده، وبنفس الإشارة سأل:

"هل انتهيت الآن؟".

"إذا ذهبتَ إلى الصحراء وصرخت إلى الوحوش: أيها الوحوش، هل سمعتم الثمن الذي قدَّر به الرجال "مسيحهم"؟ ماذا ستفعل الوحوش؟ سوف يزحفون خارج جلودهم، سيصرخون من الغضب،

Scanned with CamScanner

سوف ينسون خوفهم أمام الإنسان وسيأتون جميعًا إلى هنا ليلتهموكَ! إذا قُلتَ للبحر: ألا أيُّها البحر فاسمع، هل تعرف الثمن الذي قَدَّر به الرِّجالُ المسيحَ؟ إذا قُلتَ للجبال: يا جبالُ، هل تعرفين الثمن الذي به الرجال يُقدِّرون المسيح؟ ستتحرَّك الجبال من مكامنها، ويفور البحر عن أرضه، من هناك حيث أوجَدَتهم يدُ الخالق منذ فجر الزمان، ستثور البحار، وتعدو الجبال حتَّاكم وتسقط على رؤوسكم".

"هل يرغب "يهوذا" في أن يصير نبيًّا؟ إن صوته عالٍ جدًّا!" لاحظ الرجل ذو الوجه الشبيه بالعصفور الأمر ساخرًا وألقى على قيافا نظرة ثاقبة.

"اليوم رأيت شمسًا شاحبة. نظرت هي إلى الأرض برعب، وقالت: وأين الإنسان؟ اليوم رأيت عقربًا. جلس هو على صخرة، ضحك وسأل: وأين الإنسان؟ اقتربت منه ونظرت في عينيه. فعاد يضحك ويسأل: وأين الإنسان؟ أرجوك أخبرني أنا لا أراه! أترى "يهوذا" قد صار أعمى؟ "يهوذا" المسكين من "إسخريوط"".

وبدأ "الإسخريوطي" يبكي بصوتٍ عالٍ. في هذه الدقائق بدا وكأنه مجنون، وبعد أن استدار "قيافا" بعيدًا، ملوِّحًا باحتقار. لكن "حنانيا" فكَّر قليلًا وقال:

"الآن أرى، يا "يهوذا"، أنَّكَ لم تتلقَّ سوى القليل جدًّا؛ وهذا يُزعِجُكَ. هاك إذن المزيد من المال، خُذها وأعطِها لأطفالِكَ".

ألقى بشيء أحدَثَ صوتَ خَشخَشةٍ حادَّة. صوت ظلَّ صداه يتردَّد في المكان، لم يتلاشَ حتى تَبِعَهُ صَوتٌ مُشابِهٌ جدًّا، سُمِعَ لمَّا قام شخصٌ بِمَدِّ يده مُقلِّدًا "حنانيا": كان "يهوذا" نفسه، الذي قد صار يلقى حفنات من القطع الفضية على وجوه رئيس الكهنة والقضاة، ويعيد إليهم ثمنَ ما باعهم به المسيح. تمطر العملات المعدنية على وجوههم، وتستقرُّ على الطاولة، ومنتشرة على الأرض. استخدم بعضُ

الحُـكّام أيديهـم لتغطيـة وجوههـم، ورُفِعَـت الكفـوف لتحميهـا، وصرخ آخـرون وهـم يقفـزون سـبًّا مـن مقاعدهـم. حـاول "يهـوذا" أن يـضرب "حنانيـا"، فألقـى بآخـر عُملَـةٍ، اسـتغرقت يـده وقتًـا طويـلًا ليخرجهـا مـن الكيـس، بصـق غاضبًـا، ثـم غـادر.

"حسـنًا، حسـنًا!" تمتـم بينـما كان يمـرُّ سريعًـا في الشـوارع، يخيـف الأطفـال. "يبـدو أنـك كنـتَ تبـكي يـا "يهـوذا"؟ لكـن هـل "قيافـا" مُحـقٌّ في قولـه إن "يهـوذا الإسـخريوطي" غبـيٌّ؟ مَـن يبـكي يـوم الانتقـام العظيـم لا يسـتحقُّ ذلـك- أتعلـم ذلـك يـا "يهـوذا"؟ لا تَـدَعْ عينيـك تخدعـك، لا تَـدَعْ قلبـك يكـذب، لا تسـكب الدمـوع عـلى النـار، يـا "يهـوذا الإسـخريوطي"".

جلـس تلاميـذ المسـيح في صمـت حزيـن، يسـتمعون إلى مـا كان يحـدث خـارج المنـزل. كان الخطـر مـا يـزال قائمًـا بـأن الانتقـام الـذي مارسـه أعـداء المسـيح لم يكـن في الأصـل يسـتهدفه وحـده، وكانـوا جميعًـا ينتظـرون أن يقتحـم الحُـرَّاس المنـزل في أي سـاعة، وربمـا تتضمَّـن خطَّتهـم المزيـد مـن عمليـات الإعـدام. إلى جانـب "يوحنـا" أقـرب تلاميـذ المسـيح، جلسـت "مريـم المجدليـة" و"متَّـى" ينعيانـه بنحيـب بـلا صـوت تقريبًـا. كانـت "مريـم"، التـي انتفـخ وجههـا مـن أثـر الدمـوع، تمسـح بيديهـا عـلى شـعرها الغنـيِّ المتعـرِّج، بينـما تحـدَّث "متَّـى" بالعِظـاتِ التـي قيلـت عـلى لسـان "سـليمان":

" اَلْبَطِـيءُ الْغَضَـبِ خَـيْرٌ مِـنَ الْجَبَّـارِ، وَمَالِـكُ رُوحِـهِ خَـيْرٌ مِمَّـنْ يَأْخُـذُ مَدِينَـةً".[1]

في تلـك اللحظـة، دخـل "يهـوذا الإسـخريوطي" مـن البـاب بجلبـة واضحـة. قفـز الجميـع في حالـة مـن الرعـب وفي البدايـة لم يدركـوا حتـى مَـن هـو، لكـن عندمـا تعرَّفـوا عـلى الوجـه المكـروه والـرأس الوعـر ذي الشـعر الأحمـر، بـدؤوا بالـصراخ. رفـع "بطـرس" يديـه وصرخ:

---

(1) سفر أمثال (32:16)

Scanned with CamScanner

"اذهب من هنا! خائن! اذهب بعيدًا أو سأقتلك".

لكن عندما ألقوا نظرة متفحِّصةً على وجه وعين الخائن، هدؤوا وهمسوا خائفين:

"اتركه! اتركه! لقد ملك الشيطانُ ناصيتَه".

انتظر يهوذا حتى صمتوا، ثم صرخ بصوتٍ عالٍ:

"افرحا يا عينَيْ "يهوذا الإسخريوطي". لقد شهدتما للتَّوِّ قَتَلَةً بدَمٍ بارد- زارتهم الخيانةُ، ومَلَكَهُم الجُبنُ من قبلِك بالفعل! أين المسيح؟ أسألكم أين المسيح؟".

بصوتٍ أجشَّ، أمر سؤال "يهوذا الإسخريوطي" وأجاب "توما" مطيعًا:

"لكنَّك تعلم، يا "يهوذا"، أن مُعلِّمنا قد صُلِب مساء أمس".

"كيف سمحتَ بهذا؟ أين ذهب حُبُّكَ العميق يا تلميذه النجيب المقرَّب؟ أنت صخرته، أين كنت عندما صُلِب صديقك على قطعة من الخشب؟".

"فقط فكِّرْ، ماذا كان بإمكاننا أن نفعل؟"، فَرَدَ "توما" يديه في تسليم.

"أنتَ مَن تسأل هذا يا "توما"؟ حسنًا، حسنًا!" أدار "يهوذا الإسخريوطي" رأسه جانبًا، ثم انقضَّ عليه فجأة غاضبًا: "مَن يحب لا يسأل، يعمل! يهبُّ ويفعل كل شيء مُمكِن. يبكي، يعضُّ، يخنق العدوَّ ويكسر عظامه! هذا هو مَن يحب! عندما يغرق ابنك، هل تذهب إلى المدينة وتسأل المارَّة: "ماذا عليَّ أن أفعل؟ ابني يغرق!"- أو ترمي نفسك في الماء وتغرق بجانب ابنك. هذا هو مَن يحبُّ!".

أجاب "بطرس" بقسوةٍ على كلام "يهوذا" الشديد:

"استَلَلتُ سيفي، لكنه هو نفسه قال: لا".

"لا؟ وأنتَ امتَثَلتَ؟" ضحك "يهوذا". ""بطرس"، "بطرس"... كيف أمكَنَكَ أن تستمع لما أمَرَكَ به! هل يعرف شيئًا عن الجنود، عن المعركة؟".

"مَن لا يطيعه فمصيره الجحيم".

"لماذا رفضتَ أن تذهب إذن؟ لماذا لم ترد ذاك في حينها يا "بطرس"، حرائق الجحيم- ما هو الجحيم؟ وماذا لو انتهيتَ إليه- كيف يفيدك إخلاص روحك إذا لم تجرؤ على إلقائها في النار متى شِئتَ".

"اصمت!" صرخ "يوحنًا"، وقام. "هو نفسه أراد هذه التضحية. ذبيحتنا الجليلة!".

"هل تظنُّ فعلًا أن هناك ما يُسمَّى بالتضحية سامية الأجل والهدف. ماذا تقول أيها التلميذ الحبيب؟ وحيث توجد ذبيحة يوجد جلّادٌ وخَوَنة أيضًا! ذبيحة؟- ما هي إلا معاناة للفرد وعار للجميع. أيُّها الخونة، الخونة، ماذا فعلتم بالأمانة، بالأرض؟ ترى القوم ينظرون إليها من فوق ومن أسفل ويضحكون ويصرخون: انظروا إلى هذه الأرض، لقد صلبوا المسيح هناك! وبصقوا عليه- كما أفعل الآن!". بصق "يهوذا" بشراسة على الأرض.

"لقد حمل كل ذنوب البشر على عاتقه. ذبيحة الإله الجليلة!" أصرَّ "يوحنًا".

"لا، لقد حملتم أنتم كل الآثام. أيُّها التلميذ الحبيب! ألا ينبض عِرقُ الخَوَنة فيك يا سلالة الأفّاقين والكذّابين؟ أيُّها الأعمى ماذا فعلتَ بالأرض؟ أردتَ تَدميرَها، ستقبِّل قريبًا الصَّليبَ الذي صَلَبتَ عليه المسيح! حسنًا، لقد وعد "يهوذا" أنك ستقبِّل الصليب".

Scanned with CamScanner

"يهوذا"، لا تُهِنّا!" زأر "بطرس"، واحمرّ وجهه. "كيف كان لنا أن نقتل كلّ أعدائه وهم كُثر؟".

"حتى أنت أيضًا يا "بطرس" تُجادِله!" صرخ "يوحنا". "ألا ترى أن الشيطان قد امتلكه؟ ابتَعِدْ عنّا بفتنَتِكَ. أنت أصلٌ لكل الأكاذيب! منعنا المعلّم من القتل".

"ولكن هل منعك أيضًا من الموت؟ لماذا أنتَ على قيد الحياة؟ لماذا تتحرك ساقاك، ولسانك يثرثر هراء، وعيناك تومضان، بينما يرقد هو ميّتًا، بلا حراك، عاجز عن الكلام؟ كيف تجرؤ على احتمال احمرار وجنتيك يا "يوحنّا" بينما هو تحت الأرض شاحب؟ كيف تجرؤ على الصراخ يا "بطرس" وهو صامت؟ تسأل أنت "يهوذا": "ماذا نفعل؟"، فيجيبك "يهوذا الإسخريوطي" الشجاع الجميل: "مُت". كان يجب أن تكون الآن راقدًا على قارعة الطريق، كان يجب أن تقبض على سيوف الجنود وأيديهم. كان يجب أن تُغرِقَهم في بحر دمك- كان يجب أن تموت، تموت! كان يجب أن يصرخ أبونا الحبيب نفسه من الرُّعب عندما تدخلون جميعًا إلى هناك".

رفع "يهوذا" يده وسكت، ولكن بعد ذلك، فجأة، لاحظ على الطاولة بقايا وجبة. وبدهشة غريبة، باسترابة، كأنه يرى الطعام لأول مرّة في حياته، فحصه ببطء وسأل:

"ما هذا؟ هل أكلتَ؟ ربما تكون قد نِمتَ أيضًا؟".

أجاب "بطرس": "نعم، لقد نِمتُ"، قالها وهو يخفض رأسه بخنوع، ناظرًا الآن إلى "يهوذا" كصاحب الأمر. "لقد نمتُ وأكلتُ".

قال "توما" بحزم:

Scanned with CamScanner

"كل ما تقول محضُ خطأ يا "يهوذا". فكِّر فقط: إذا كنَّا قد متنا جميعًا في المعركة، فمَن سيبقى ليتحدَّث عن المسيح؟ مَن سيحمل تعاليمه للشعب، إذا متنا جميعًا: "بطرس" و"يوحنَّا" وأنا؟".

"وكيف سيتقبَّلون ما تخبرون على كونه الحقيقة وهي تصدر عن شفاه الخَوَنَة؟ ألا يجعلها ذلك تقوم تمامًا مقام الكذبة؟ "توما"، "توما"، ألا تفهم أنك الآن مجرَّد حارس أمام قبر الحقيقة الميتة. ينام الحارس ويصل إلى بابها لصٌّ سالبًا الحقيقة- قُل لي أين الحقيقة؟ كُن ملعونًا لبقيَّة حياتِكَ يا "توما"! ستصير عقيمًا وتعدم الخير إلى الأبد، وكذا بقيتكم، ستصيبكم لعنته وتحلُّ".

"شيطان ملعون" صرخ "يوحنَّا"، وكرَّر "يعقوب" و"متَّى" وبقية التلاميذ الآخرون ذاتَ الصَّيحَةِ والصَّفَة. وحده "بطرس" ظلَّ صامتًا.

"أنا ذاهب إليه!" قال "يهوذا"، مشيرًا بكفِّه إلى الأعلى. "مَن سيتبع "الإسخريوطي" في طريقه للمسيح؟".

"أنا! سوف أذهب معكَ!" صرخ "بطرس" قائمًا. أوقفه "يوحنا" والآخرون بشديد رُعبٍ قائلين:

"مجنون! لقد نسيتَ أنه خان المعلِّمَ بِيَدِ أعدائه".

ضرب "بطرس" نفسه بقبضته على صدره وبدأ يبكي بمرارة:

"إذن إلى أين أذهب؟ مُعلِّمي! إلى أين عليَّ أن أذهب؟".

منذ زمنٍ بعيد، وأثناء مسيرته في الصحراء، اختار "يهوذا" بالفعل المكان الذي سيقتل فيه نفسه بعد موت المسيح. كانت البقعة المختارة تقع فوق جبلٍ مرتفعٍ فوق أورشليم، وقفت عليه شجرةٌ واحدة فقط، ملتوية، نصفها جاف، تعذَّبها الريح وقد مزَّقتها كلَّ مُمزَّق. فمدَّت أحد أغصانها الملتوية نحو أورشليم كأنها تُبارِكُها أو تُهدِّدها بشيء، فاختارها "يهوذا" لربط حبل المشنقة عليها. لكن

Scanned with CamScanner

الطريـق إلى الشـجرة كان طويـلًا وشـاقًّا، وكان "يهـوذا الإسـخريوطي" مُتعَبًا جـدًّا. وصـارت تلـك الحجـارة الصغـيرة الحـادَّة نفسـها تنزلـق تحـت قدميـه وكأنهـا تسـحبه للخلـف، والجبـل طويـل، تحيـط بـه الريـاح، كئيبًـا و خانقًـا. وقـد اضطـرَّ "يهـوذا" بالفعـل إلى الجلـوس عـدَّة مـرَّات ليسـتريح، متنفِّسًـا بصعوبـة، وخلفـه، عـبر الشـقوق في الصخـور، أطلـق الجبـل زفـيره بـاردًا عـلى ظهـره.

"والآن أنـت أيهـا اللعـين!" قـال "يهـوذا" بـازدراء، بأنفـاس متقطِّعـة، بينـما يهـزُّ رأسـه الثقيـل الـذي صـارت كل الأفـكار فيـه حجـارة جامـدة مُصمَتـة، رأسـه الـذي يرفعـه فجـأة، ويفتـح عينيـه المتجمِّدتـين، ويتمتـم بغضـب:

"لكـن... أظنُّـك سـتغضب مـن "يهـوذا الإسـخريوطي" حتـى هنـاك؟ وسـتُكذِّبني؟ ومـن ثَـمَّ ترسـلني إلى الجحيـم؟ حسـنًا إذن! سـأذهب إلى الجحيـم! وسـأطوِّع نـيران جهنَّـم لتشـكيل الحديـد، وسـأدمِّر جنتـك المزعومـة. حسـنًا؟ هـل سـتصدِّقني حينهـا؟ هـل سـتعود معـي بعدهـا إلى الأرض أيُّهـا المسـيح؟".

أخـيرًا وصـل يهـوذا إلى القمَّـة وإلى الشـجرة الملتويـة، وهنـا بـدأت الريـح تعذِّبـه، ولكنـه إذ بـدأ يوبِّـخ أفعالهـا، بـدأت تشـدو بهـدوء وأناةٍ، حلَّقَـت الريـاح بعيـدًا بعوائهـا كأنمـا ترسـل تحياتهـا الأخـيرة إليـه!

"حسـنًا، حسـنًا! لكنهـم جميعًـا كلاب!"- ردَّ يهـوذا عـلى وداع الريـاح بينـما يربـط العقـدة. ولأن الحبـل قـد يخدعـه وينقطـع؛ فقـد علَّقـه عـلى حافَّـة الهاويـة، فـإذا انقطـع؛ فـما زال سـينال الميتـة المطلوبـة بسـقوطه فـوق الصخـور. وقبـل أن يدفـع نفسـه عـن الصخـرة ويشـنق نفسـه، حـذَّر "يهـوذا الإسـخريوطي" المسـيحَ مـرَّةً أخـرى بنـبرة مُشـدَّدة:

"أرجو إليك أن تقابلني بلُطفٍ، أنا مُتعبٌ جدًّا!".

Scanned with CamScanner

وقفـز. انشـدَّ الحبـل، وانعقـد حـول عنقـه. ارتخـت رقبـة "يهـوذا"، واتَّحـدَت ذراعـاه، ورجـلاه تدلَّيَتـا، كخرقـة مُبلَّلـة. مـات.

وهكـذا في يومـين، واحـدًا تلـو الآخـر، غـادر كلاهـما الأرض: المسـيح النـاصري و"يهـوذا" مـن "إسـخريوط"، الخائـن "يهـوذا" مـن "إسـخريوط".

ظـلَّ جسـد "يهـوذا" يتمايـل طـوال الليـل فـوق أورشـليم، كثمـرةٍ بَرِّيَّـة. أحيانًـا كانـت الريـح تؤرجحـه ليواجـه المدينـة، وأحيانًـا أخـرى ليواجـه الصحـراء- بـدا الأمـر كـما لـو أنهـا أرادت أن تُظهـر يهـوذا للمدينـة والصحـراء. وإنمـا بِغَـضِّ النظـر عـن النهايـة التـي تَحـوَّل إليهـا الوجـهُ الميِّـتُ، عـن التَّشـوُّه الـذي لاح عليـه، حدَّقَـت العينـان الحمـراوان مـن أثـر الشرايـين المختنقـة في السـماء، متشـابهتان أخـيرًا، ثابتتـان لا تحـوِّلان النظـر عـن اتجاههـا الأخـير.

ولمـا جـاء الصبـاح، رأى شـخصٌ ذو بـصر ثاقـب "يهـوذا" مُعلَّقًـا فـوق المدينـة فـصرخ خوفًـا. جـاء النـاس، وأنزلـوه، واكتشـفوا مَـن هـو، انتهـوا بـه في وادٍ مُقفِـر اعتـادوا أن يلقـوا فيـه الخيـول والقطـط وغيرهـا مـن الجِيَـف الميتـة.

في المسـاء، تلقَّـى المؤمنـون خـبر الميتـة الرهيبـة للخائـن، وفي اليـوم التـالي كان الخـبر قـد وصـل أورشـليم، سـمِعَت بـه اليهوديـة الصخريَّـة وسـمع عنهـا الجليـل الأخـضر. وانتـشرت أخبـار مـوت الخائـن مـن بحـر إلى آخـر، وإلى أبعـد مـن ذلـك فأبعـد. لم يكـن للخـبر أو الحكايـة سرعـة في الانتشـار ولا تَهـاوُن في وصولهـا للسـامعين، بـل سـافرت في رفقـة الزمـان، فكـما بقـي هـو بـلا نهايـة، مكَّنَـت القصـة المرعبـة لخيانـات "يهـوذا" وموتـه. لَعَنَـه الجميـع: الطيـب والشريـر، بـذات القـدر!

مـن بـين الحكايـا لقـوم سـبقوه أو تبعـوه، بقـي "يهـوذا" في الذاكـرات وحيـدًا في مكانتـه، "يهـوذا الإسـخريوطي"، الخائـن.

Scanned with CamScanner

نُبذَة عن المؤلف

وَلِدَ أندرييف في 21 أغسطس 1871 في مدينة أوريل. بَدَأ شَغفُه في مرحلةِ شَبابِه بالفَلاسِفَة الألمان: شوبنهاور وإي هارتمان، وافتُتِنَ بنظرَتِهم إلى طبيعَةِ الحياة، واتَّبع مَنهجَهم التَّشاؤُميّ الَّذي يُعنَى بالحَكْي عن الحياةِ وآلامِها التي تُفرَض على الإنسان، وتَربُّص المَوتِ في نهايَةِ الطَّريق.

بعدَ تَخرُّجِه في كُلِّيَّة الحُقوق بجامعة موسكو عام 1897، عملَ لِعِدَّة سَنواتٍ كمُساعِدِ محامٍ.

بِهَدَفِ حَشدِ الرَّأي العام؛ قرَّر أندرييف القِيامَ برحلَةٍ إلى انجلترا وأمريكا؛ لمُساعَدَة روسيا، المُحتَضرَة آنذاك تحت حُكمِ البَلاشِفَة، خُطَّة لم تكتَمِل في واقِعِ الأمرِ؛ إذْ فاجَأَته المَنِيَّةُ بِسَبب قُصورٍ في القَلبِ في قرية نيفالا في فنلندا.

Scanned with CamScanner

نبذة عن المُترجِم

مُترجِمَة مصريَّة، تَخرَّجَت في كُلِّيَّة الألسن ـ قسم اللغة الروسية، تدرَّبَت لفترةٍ في وزارة الخارجية المصرية، وعملَت بَعدَها بمجال السِّياحة. نُشِرَت لها العديدُ من المقالاتِ الأدبيَّةِ والتَّرجمات بدَوائِرَ ثَقافيَّةٍ مُختَلِفة، داخِلَ مِصرَ وخارِجَها. تعمل حاليًا بمجال التَّرجَمَة وكتابة المُحتَوى، باللُّغات الثَّلاث: العَربيَّة والانجليزيَّة والرُّوسيَّة.

صَدَر لها: "بابا ياجا"، "روزا"، "سخط"، مُترجَمَة عن الرُّوسيَّة، و"الصَّقرُ المالطيُّ"، و"آلَةُ السَّلام" عن الانجليزية.

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

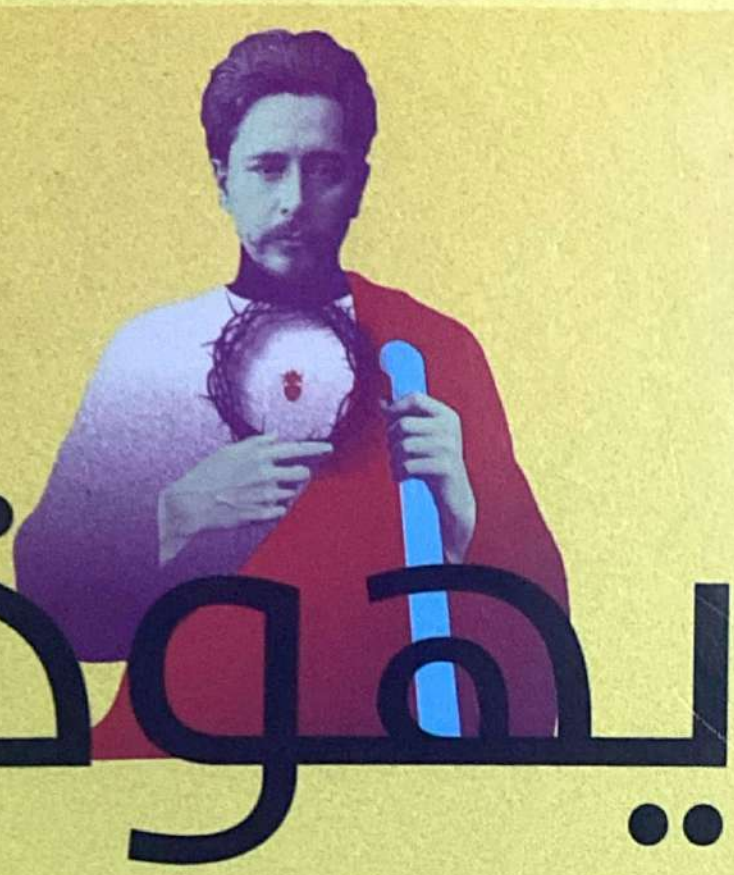

يهوذا

"ثلاثون قطعة فضية! هذا حتى ليس ثمنًا عادلًا لقطرة واحدة من دمه! ولا لنصف قطرة من الدموع التي ستُسكَب عليه، ولا لريع تنهيدة من الآهات التي ستُطلَق من الحناجر لأجله!".

هل خان "يهوذا" طمعًا أم انتقامًا؟ عن الشَّعرة الرفيعة بين الضَّحيَّة والجَلَّاد، والتساؤل الفلسفي المطلق عن الحب، وهل يَصِحُّ للمُحِبِّ حين يفقد مكانته أن يصبح عدوًّا! يقدِّم ليونيد أندرييف قصَّة "يهوذا الإسخريوطي" في رواية قصيرة عن حياة المسيح وحَواريه اليوميَّة، بعين "يهوذا" الساخطة التي تحلف بالوفاء، هاك مُبرِّراته، فهل تُصدِّقه؟

الغلاف:
عبد الرحمن الصواف

ISBN 978-977-313-920-9

9 789773 139209

المحروسة

Scanned with CamScanner